

الحرب العالمية الثانية وما بعدها

- ١ -

عندما قررت تركيا الانضمام الى الدول المركزية فى الحرب العالمية الاولى ، كان موقفها يوم ذاك مهددا لخطوط المواصلات البريطانية ، وعندما قررت البقاء على الحياد فى الحرب العالمية الثانية فقد برت بوعدها ولم يبد منها ما يجعل البريطانيين يتوقعون موقفا معاديا ، وأكثر من ذلك انهم كانوا يأملون المعاونة فى بعض الظروف . اما ايطاليا فقد تظاهرت بحياد يخفى بين طياته عدااء كمننا . بينا أثار سلوك روسيا المبهم قلق بريطانيا ومخاوفها . فلما شعرت كل من بريطانيا وفرنسا وتركيا بالاحطار التى تهددهم عقدوا فى شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٩ معاهدة تبادل المساعدات العسكرية فى أحوال خاصة . واشترطت تركيا ان الالتزامات التى تفرضها عليها هذه المعاهدة يجب الا تضطرها للدخول بأى صراع مع روسيا . فلما أعلنت ايطاليا الحرب ظلت تركيا بحيادها متجنبه أى عمل عدائى يجرها للاختلاف مع روسيا وطلبت ان تعفى من تنفيذ الالتزامات التى تفرضها المعاهدة سابقة

الذكر • وكانت تركيا على حذر من روسيا بعد الموقف الذى وقفته من فنلندة وبولونيا ودول البلطيق • كما انها أصبحت فى وضع حرج بعد انضمام الفرنسيين فى سوريا الى حكومة فيشى • وقد ضاعف انخزال فرنسا من التزامات بريطانيا لتركيا اقتصادية كانت تلك الالتزامات أمم عسكرية • فالحرب سدت جميع المسالك التجارية بوجه تركيا ، فأصبحت فى حاجة ماسة لاسواق جديدة تباع فيها منتجات بلادها وفى حاجة لمصادر جديدة تستورد منها ما تحتاج اليه من مواد حربية للدفاع عن سلامة بلادها • وكان على بريطانيا ان تسلاّ الفراغ الحاصل من عدم مساعدة دول الحلفاء الاخرى لتركيا • فكان من نتيجة ذلك ان تضاعفت التجارة البريطانية مع تركيا • فقد اشترت الحكومة البريطانية مقادير كبيرة من الفواكه التركية المجففة ومن التبنك التركى ، كما حاولت ، مع ما كانت تلقاه من مخاطر ، ان توصل الى تركيا كميات مناسبة من المواد الحربية •

- ٢ -

وفى فلسطين نشط الارهابيون العرب منهم واليهود قتل استعمار نار الحرب • وبعد اعلانها ساد البلاد هدوء نسبي • فقد وعدت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بمساندة بريطانيا ضد المانيا • ومع ان زعماء العرب ذوى الكلمة النافذة لم يكونوا موجودين فى فلسطين عند اعلان الحرب ، الا ان تأكيدات مماثلة لتلك التى قدمها اليهود قدمت من قبل بعض الشخصيات العربية الفلسطينية • وكان اليهود يؤملون ان بريطانيا ستلغى الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ مقابل مساعدتهم لها • وما ان وجدوا ان الادارة الفلسطينية مصرة على منع انتقال الاراضى من ايدى العرب الى ايدى اليهود حتى ازدادوا

حقاً • فقاموا بمظاهرات مصحوبة ببعض الاعمال المخلة بالامن احتجاجاً على الكتاب الابيض • ومع ذلك فانهم نفذوا قرارهم بشأن التعاون مع بريطانيا ضد المانيا النازية الا الاحزاب المتطرفة منهم مثل جماعة بشتري فانهم باثروا عملهم الا في عام ١٩٤٠ • ومما يلاحظ ان اليهود لم يوحّدوا كلمتهم الا في امر واحد هو مقاومة المانيا • وكان الصهيونيون يعتقدون بأن أية رغبة من الحكومة البريطانية تبديها لاعطاء العرب بعض حقوقهم انما هي « تسكين لخواطرم » تنم عن جبن البريطانيين وخوفهم •

- ٣ -

وفي السنوات الاولى للحرب عرض اليهود استعدادهم لتجنيد جيش يهودي ، الا ان الادارة الفلسطينية رفضت عرضهم • ذلكم لان الاعتراف بوجود جيش يهودي بدلا من جيش فلسطيني ، ليس في صالح البلاد ، ولان تأليف ذلك الجيش لما يغيض العرب ويدفع اليهود عند نهاية الحرب الى المطالبة ببعض الامتيازات مقابل ما سيقدمونه من خدمات • ومع ذلك فقد تكونت وحدات يهودية صغيرة انضمت الى فرق أخرى غير يهودية • ولم يأخذ اللواء اليهودي شكله النهائي الا في عام ١٩٤٤ ؛ وكان اليهود يفسرون تردد الحكومة البريطانية في الموافقة على تشكيل اللواء اليهودي لموقف بريطانيا العدائي نحوهم • وقد تضاعف حقهم بعد ان اقترب الالمان من حدود مصر فأصبحوا بين خطرين ، خضوعهم الى الالمان ثانية ، وانتقام العرب منهم • ولمجابهة ما قد يطرأ من ظروف غير متوقعة قام اليهود بتأليف عصاة عهد اليها أمر سرقة مقادير كبيرة من الاسلحة البريطانية ومن المتفجرات • فاستعانت تلك العصاة ببعض الجنود البريطانيين الذين يعطفون على اليهود

لتحقيق مأربها ، متناسين ان تلك الاسلحة استخدمت لمقاومة الجنود
البريطانيين وللاعتداء على موظفي الحكومة الفلسطينية وعلى ممتلكاتها •
ومما زاد في تغت اليهود وتزمتهم شدة تدفق المهاجرين اليهود على
فلسطين من الاقطار الاوربية حيث كان الالمان يتبعون سياسة وحشية لانفائهم •
فمنذ ان أخذ الالمان باتباع تلك السياسة واليهود يتدفقون على فلسطين لا بدافع
انسانى ، بل من أجل خلق مشكلة لبريطانيا قبل الحرب ، ولكنها لم تكن
توافق على قبول عدد كبير منهم الى فلسطين ، لان ذلك من شأنه ان يجعل
الاکثرية العربية أقلية فيها • وليس في هذا عدل أو حكمة سياسية والحرب
العالمية قائمة وبريطانيا في غنى عن اثارة غضب العرب عليها • ولهذا قررت
الحكومة البريطانية احد أمرين اما اعادة المهاجرين الى الاقطار التي ارتحلوا
عنها ، أو حجزهم في بلد آخر خاضع لبريطانيا كموريشيوس وقبرص •
وقابل الصهيونيون هذا القرار بالاحتجاجات الشديدة وبالمقاومة الارهابية •
وقد لاقوا تشجيعا كبيرا من اميركا حيث عقد مؤتمر بليمور الصهيونى وقرر
الصهيونيون فيه المطالبة بجعل فلسطين دولة يهودية ، وخلق جيش يهودى ،
واطلاق باب الهجرة في فلسطين وجعل أمرها موكول الى الوكالة اليهودية •
وهذه المقررات تمثل في الواقع السياسة التي كانت المنظمة الصهيونية تتبعها
ولا زالت تصر عليها •

- ٤ -

ومع كل ما بذلته المانيا من فنون الدعاية في العراق وفي مصر فان
حكومات هذين القطرين قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا • فلما دخلت
ايطاليا الحرب كان موقف بريطانيا العسکرى من الضعف درجة جرأت

كلتا الحكومتين على التلکؤ فى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايطاليا • وبعد جهود قطعت الحكومة المصرية علاقاتها مع ايطاليا متبعة أسلوبا خفف من وقع الضربة عليها • اما حكومة العراق فقد رفضت ان تفعل ما فعلته مصر وسمحت للمفوضية الايطالية فى بغداد ان تبقى مفتوحة الابواب متخذة من نفسها مركزا للدعاية وللمؤامرات المحورية •

وكان ابن السعود ثابتا فى صداقته لبريطانيا وفى عطفه عليها • ومع ذلك فانه لم يعلن الحرب على دول المحور ، لان ليس ثمة معاهدة تقضى عليه بذلك ، ولان سيطرته على الاماكن المقدسة الاسلامية كانت تمنعه من اعلان الحرب على دولة ذات رعايا مسلمين • وكانت المملكة العربية السعودية طوال ايام الحرب تعتمد على بريطانيا اقتصاديا كما صارت بعد ذلك تعتمد على الولايات المتحدة فى طلب المساعدات المالية • سيما بعد ان نقصت عوائد الحج خلال سنوات الحرب نقصا بينا ، ولم تكن عوائد النفط تكفى لتسيير شؤون المملكة • ومع تلك الاوضاع الحرجة فان ابن السعود اضطر فى آخر الامر الى اعلان الحرب على دول المحور والى الانضمام الى الدول المتحدة •



وفى ايران قضت القيادة البحرية للحلفاء على مشروع الشاه لتصنيع بلاده ولتسليح جيشه • فقد تعذر نقل البضائع الالمانية فى الطريق البرى عبر روسيا وان ظل هذا الطريق مفتوحا • كما حال ارتفاع أجور النقل البحرى دون نقلها بحريا • وهذا ما جعل ايران فى وضع اقتصادى حرج • ومساعدة لها عرضت الحكومة البريطانية عليها قرضا بخمسين ملايين جنيه استرلينى الا ان الشاه رفض القرض عندما وجد ان بريطانيا لا تستطيع تزويده

بالسكك الحديدية والطائرات وبالأسلحة • ومع ذلك فإن إيران أعلنت حيادها ، وإن لم يكن الإيرانيون محايدين بمجموعهم • وكانت إيران تعتبر ميثاق عدم الاعتداء المعقود بين ألمانيا وروسيا من الأمور غير الطبيعية ، لأن ألمانيا هي العدو الدائمة لروسيا وإن تظاهرا بالصدقة ، ولذا فإنها اعتبرت ألمانيا صديقة طبيعية لإيران • ولما كانت بريطانيا حليفة لروسيا في الحرب العالمية الأولى ، وساعدتها في السيطرة على إيران عام ١٩٠٧ ، فإنها يجب أن تعامل المعاملة التي تلقاها روسيا • يضاف إلى كل ذلك أن الإيرانيين يعتبرون ألمانيا سوقا ملائما لأغراضهم الاقتصادية ، ومصدرا لاستيراد ما يحتاجون إليه من بضائع • ومما زاد في أقبال الإيرانيين على الألمان ، أنهم كانوا مخدوعين بالدعايات الألمانية ، بأنهم والألمان يشتركون بالدم الآري • وإذا ما استثنينا الأقسام الجنوبية والشرقية من إيران حيث يسود النفوذ البريطاني ، فقد كانت جميع الأقسام الباقية من إيران مناصرة لألمانيا • ولا ينكر أنه لم تكن منافع شخصية للشاه من وقوفه ذلك الموقف • ولكنه أراد أن تكون بلاده بعيدة عن ويلات الحرب والا تحرم بلاده القومية التي سار على انتهاجها • وإن ضغطه على شركة النفط في العام المذكور لم يكن إلا من أجل الحصول على نسبة عالية من العوائد النفطية معادلة لنسبة الكميات المباعة في الأسواق العالمية ، وهذا مما يدل على عزمه على ألا تتضرر البلاد من جراء حرب لا منفعة له بها •

- ٦ -

ومرت سنة ١٩٤٠ دون حدوث انتكاسة خطيرة ، مع أنها كانت سنة حرجية على بريطانيا • فالميدان الحربى بشمال أفريقيا لم تتنابه أحداث

صبيته ، وان لم يبق البحر المتوسط أمينا على عهده ، وان القطعات العديدة من الجيش الفرنسي المراقبة في سوريا يجب ان تظل تحت رقابة قوية دائمة . وفي أوائل عام ١٩٤١ تداعت أضعف حلقات سلسلة الشرق الاوسط - أى العراق - فقد تصرف القادة العسكريون في العراق تصرفا بعيدا عن روح المعاهدة الانكليزية العراقية ونصها ، وحرصوا العراقيين لاغتنام الفرصة من أجل تحرير فلسطين من اليهود ، وسوريا من الانتداب . وفي نيسان من عام ١٩٤١ قام الجيش بانقلاب عسكري تولى رئاسة الحكومة على أثره السيد رشيد عالي معتمدا على مؤازرة القادة العسكريين . وقد ظهر من تصرفات رئيس الوزارة ان العراق سيدفع الى احضان المانيا . وهذا ما جعل الحكومة البريطانية تسارع للقيام بعمل حاسم يحول دون ذلك . لهذا قررت الحكومة البريطانية ارسال لواء من الجيش الى البصرة تمشيا مع نصوص المعاهدة التي لم يستطع رشيد عالي الاعتراض عليها . وحين وصول اللواء الثانى الى مياه البصرة أصر رشيد عالي على عدم انزاله الى البر ما لم يرحل اللواء الاول . ولم يكن ثمة مبرر لهذا الاصرار ، سيما وان الفيضانات المرتفعة في البلاد كانت تحول دون ارتحال اللواء الاول .

على ان وصول اللواء الثانى الى البصرة ، واعتقاد رشيد عالي بقرب بلوغ الالمان سوريا ، واحتلالهم لها ، دفعه الى الاسراع بحركته العدائية للحلفاء . غير ان مقاومة الجيش البريطانى في كريت عرقلت تقدم الالمان نحو سوريا وبددت اخلام رشيد عالي . وفشل حصار الجيش العراقى لمطار القوة الجوية البريطانية الواقع على بعد خمسة وخمسين ميلا من بغداد . ويعزى ذلك الى ضعف معنوية الجنود العراقيين وعجزهم عن مقاومة حامية المطار على قلة عددها . وكانت قوة الليفى الاثورية التابعة للجيش البريطانى تسند حامية

المطار ، كما ان امدادات سريعة نقلت اليها من البصرة • وفي الوقت ذاته جاءتهم النجدة مما وراء الصحراء ، من فلسطين • فأنقذت المطار ورفعت الحصار عنه وردت الجيش العراقي على أعقابها • وعندما طلب الى القوات الفلسطينية نجدة حامية المطار ، لم يكن من السهل عليها بادىء الامر جمع النجدة المطلوبة ، وان تطوع المتطرفون الصهيونيون - ارغون زفاى لومى لتلك النجدة • فلولا مساعدة الجيش العربى لتعدت نجدة حامية المطار • وبانسحاب الجيش العراقي تداعت الحركة المناهضة للحلفاء فى العراق وتولى الحكم نفر من العراقيين مؤمنون بان مستقبل بلادهم رهين بنجاح الحلفاء فى الحرب التى يخوضون غمارها • وبمساعدة هذا النفر اصبح العراق مركزا لتنظيم مقاومة الخطر المحورى فى الشرق الاوسط • ومما يجب الا يغفل ان المستر ايدن وزير الخارجية أصدر فى مايس من عام ١٩٤١ ، قبيل حركة رشيد على ، بيانا مشجعا ينطوى على عطف بريطانيا نحو أمانى العرب للوحدة • كما اوضح انه فى الوقت الذى تساند بريطانيا أى مشروع يقترن بموافقة الاقطار العربية كافة فان المبادئة يجب ان تأتى من العرب أنفسهم •

وثمة خطر آخر ظل جاثما فى سوريا • ففى فترة الاضطرابات بالعراق ، لم تكن السلطات الفرنسية فى سوريا بوضع المطارات السورية تحت تصرف الالمان بل قدمت الذخائر الحربية الى رشيد على ، ونقلتها بقاطراتها الى العراق • ولهذا اضطرت القوات البريطانية وقوات فرنسا الحرة الهجوم على جيش حكومة فيشى ودحره • وقيل زحف تلك القوات نشر الجنرال كاترو بيانا وعد به نيابة عن الجنرال دى غول منح لبنان وسوريا حريتهما واستقلالهما ، كما وعد باجراء مفاوضات لعقد معاهدة من أجل تحقيق تلك

الاغراض • واشتركت الحكومة البريطانية بتلك الوعود التي وضعتها فرنسا
الحررة بيان آخر نص على ان جيش فرنسا الحررة يدخل الى سوريا ولبنان
لوضع نهاية لنظام الانتداب فيهما • وفي أواسط تموز استسلمت قوات
حكومة فيشي وزال الخطر المتوقع منها في سوريا ولبنان وبذلك تحول
الاهتمام الى نقطة حرجة أخرى هي ايران •

- ٧ -

وفي هذه المرحلة اشتركت روسيا بالحرب بعد ان هاجمتها حليفتها
المانيا • ولا ريب ان رضا شاه لم يكن يود نجاح روسيا في الحرب خوفا من
اعتدائها على بلاده ، ولكن ليس ثمة دليل على مساعدته الالمان وان كانت
الصحافة الايرانية التي تسيطر عليها الحكومة تغني بنشر أخبار الجبهة
الالمانية ، أكثر من عنايتها بأخبار جبهات الحلفاء • كما ان الحكومة الايرانية
لم تتخذ التدابير التي تطمئن الحلفاء بان الالمان لن يستطيعوا اضعاف سلطتها
في بلادها كما فعلوا ذلك في بلاد النروج وهولندا قبل غزوها • يضاف
الى ذلك انه كان من الصعب تخيل الصورة التي كان رضا شاه يرسمها عن
العالم • ومع انه كان يتمتع بمواهب عظيمة فقد ظل أميا ويضطر الى الاعتماد
على غيره من الناس لمعرفة ما يجرى في العالم من أحداث • ولشدة مخاوفه
من الاجانب وابتعاده عنهم ، اقتصرت صلته بالناس على وزرائه وكبار موظفيه •
فكان هؤلاء ينقلون اليه ما يسره من الاخبار فقط • ولم يكن لممثلي بريطانيا
وروسيا السوفياتية من أثر عليه لانهما قلما كانا يحضيان بمقابلته • وللحد
من نشاط الالمان في ايران اضطرت الحكومة البريطانية الى الفات نظر الحكومة
الايرانية نحو تصرفات بعض الضباط الالمان الموجودين في ايران متسترين

وراء اسماء تجارية يشك في وجود مؤسساتها • ومن بين اولئك الضباط من ساهم في اثارة الاضطرابات في العراق • ومع ذلك فان الشاه رفض ان يصغى الى تلك الاخبار مصرا على عدم وجود رتل خامس في بلاده •

وظل الشاه حتى آخر أيام حكمه يعتقد بانه المسيطر على جميع انحاء بلاده عن طريق موظفي حكومته ورجال شرطته ؛ ولا ريب ان تلك الثقة لم تكن في موضعها • لان رجال الحكومة والشرطة كانوا في وضع اقتصادي متدني من قلة ما كان يدفع اليهم من رواتب ، ولهذا كانوا لا يترفعون عن استغلال وظائفهم في سبيل الحصول على ما يمكنهم من العيش في مستوى مناسب • ولا شك ان استغلال الموظفين لوظائفهم هو الذي مكن مفتي القدس ورشيد عالي وغيره من قادة الحركة العدائية للحلفاء في العراق ، من الالتجاء الى ايران بعد فشل حركتهم ، والسكنى في طهران عددا من الشهور دون ان تمنعهم الحكومة الايرانية من اتيان الاعمال العدائية التي تضر بقضية الحلفاء • يضاف الى ذلك ان الشاه رفض ان تتخذ تدابير لحجز سبع سفن تجارية محورية التجأت الى بندر شاه بور • وكانت السلطات البريطانية مقتنعة بان بعض تلك السفن تحمل مقادير من المواد المتفجرة في مواضع خفية بمخازنها • ولهذا كان يخشى ان تهرب تحت ستار الظلام ليغرقها بحارتها عند مدخل شط العرب ، فيحال دون وصول السفن البريطانية الى العراق ونقل نفط عبادان الى الاقطار التي تحتاج اليه • وقد طلب الى السلطات الايرانية تشديد الرقابة على هذه السفن ، وان تحتجز بحارتها أو ان تنزع منها بعض آلاتها الرئيسية • ولكن الحكومة الايرانية رفضت هذا الطلب مدعية ان تلك السفن لا تحمل مواد متفجرة وان الشرطة الايرانية على أهبة الاستعداد لمنع وقوع أى حادث تخشى الحكومة البريطانية حدوثه • وقد اثبتت الحوادث بطلان

ذلك الادعاء • فعندما دخلت الجيوش البريطانية جنوب ايران قام بحارة سفينتين من تلك السفن بتفجير ما كانت تحمله من مواد متفجرة واغراقها • ولا ريب ان الحكومة البريطانية كانت على صواب فيما اتخذته من تدابير من اجل حماية مصانع النفط في جنوب ايران من الاخطار التي كان في الامكان تفاديها لو ان ايران لم تصر على بقائها على الحياد • سيما وان نجاح الحلفاء في الحرب يتوقف الى حد كبير على انتاج النفط والمواد النفطية • فكانت بريطانيا تخشى ان يقوم جواسيس الالمان الموجودين في ايران أو الذين يهبط منهم بالمظلات ، كما حدث فعلا ، بتخريب الاجهزة والمكائن اللازمة للصناعة • كذلك كانت تخشى من ان تدبر دول المحور مؤامرة لاغتيال الشاه لاشاعة الفوضى والاضطرابات في البلاد ، فتسحق الفرصة بذلك للقيام بانزال على طهران وضم الجيش الايراني الى المحور • ولو تم ذلك في تلك الظروف الحرجة التي اجتازتها ايران عام ١٩٤٢ ، والالمان في بلاد القفقاز من طرف وعلى أبواب الاسكندرية من طرف آخر ، للاقى مصالح الحلفاء في الشرق الاوسط اعظم الاخطار •

وربما قيل ان السبب الرئيسي للاحتلال الانكليزي الروسي لايران ، الرغبة في فتح طريق أمين لنقل المساعدات الى روسيا بدلا من الطريق البحري الى مورمنسك • الا ان السبب الحقيقي للاحتلال الانكليزي الروسي هو عجز الشاه عن ايقاف نشاط الالمان في اتخاذ التدابير التي تحول دون قيامهم بأي انقلاب في البلاد • ويذهب الكثيرون من الايرانيين ومن الكتاب الاجانب الى ان اهداف الحلفاء يمكن تحقيقها دون اللجوء الى الاحتلال • ويكفي لتحقيق تلك الاهداف التهديد بالاحتلال ؛ ولكن التهديد ليس بذي تأثير في النفوس كالاحتلال • يضاف الى ذلك ان قيام الحلفاء بارسال مقادير

عظيمة من الذخائر الحربية الى روسيا لم يكن ممكنا لو لم يسيطروا على خطوط
المواصلات الايرانية، ويضعوها تحت حراسة فرق من جيوش الحلفاء ، واتخاذهم
التدابير الفعالة للقضاء على جاسوسية الاعداء ، المتغلغلة في جميع انحاء ايران •
وكما لا يخفى ان من شأن الاحتلال احداث بعض الاضطراب في الحياة
السياسية والاقتصادية للبلاد المحتلة ، ولهذا رغبت الحكومة البريطانية في التقليل
من تأثير ذلك الاضطراب بقبولها الاقتراح القائل باستبدال الاحتلال العسكرى
بعقد معاهدة بين الدول المعنية بالامر - بريطانيا وروسيا وايران • ولم يستاء
الايرانيون من دخول الجيوش الاجنبية بلادهم ، لانهم كانوا يتوقعون ذلك ،
كما كانوا يتوقعون حدوث احد امرين آخرين ، اما ان يتنازل الشاه عن
العرش بمحض ارادته ، او ان يضطره الحلفاء على ذلك • ومع ان بريطانيا
كانت تخشى اثارة الشعب الايراني عليها اذا سمحت بابقاء الشاه على عرشه ،
فان الحلفاء لم يطلبوا اليه التنازل • وان الشاه تنازل دون اكراه ، بعد أن
شعر باستياء الشعب لتصرفاته ؛ وتلاشى الامل في مساندة بريطانيا له بعد ان أخذ
القسم الايراني من محطة الاذاعة البريطانية ينتقد تصرفاته وموقفه من الحلفاء
انتقادا مرا • ومما عجل في تنازله عن العرش ، تقدم الجيوش الروسية المرابطة
في قزوین ، المدينة التي تبعد تسعين ميلا عن طهران واتجاهها نحو العاصمة •
وقام الجيش الروسى بهذه الحركة نتيجة الاتفاق القاضى بقيام الجيشين الروسى
والبريطانى باحتلال ضواحي طهران ، لكى يعجلوا بطرد ممثلى دول المحور
من ايران وبالقضاء القبض على اعضاء الممثلة الالمانية في طهران وتسليمهم الى
الحلفاء • وما ان ابلغ الشاه بزحف الجيوش الروسية نحو العاصمة حتى
سارع الى كتابة صك تنازله عن العرش تاركا طهران ومتوجها نحو القسم
الجنوبى من بلاده • ومن ثمة غادر البلاد على ظهر باخرة بريطانية • وخلفه

ابنه الاكبر محمد رضا • ومع ان الشاه الجديد كان فى الثالثة والعشرين من عمره فقد ابدى شجاعة فائقة فى التعاون مع الحلفاء وفى القضاء على الحياة الاوتوقراطية التى خيمت على البلاد طوال حكم أبيه متبعا نظاما للحكم مبنى على أسس برلمانية •

وانتهت المفاوضات بين الدول الثلاث بالتوقيع على معاهدة ثلاثية فى كانون الثانى من عام ١٩٤٢ ، تقوم ايران حسبها بمساعدة الحلفاء وتقديم جميع التسهيلات الممكنة لمرور الجيوش والذخائر الحربية من بلادها • وابداء المعاونة اللازمة لتوفير ما تحتاجه تلك الجيوش من مواد • محمية ومن عمال • كذلك سمح للحلفاء بالاحتفاظ بما يرونه مناسبا لهم من القوات فى ايران ، على ان يتعهد الحلفاء بسحب قواتهم بعد فترة لا تزيد على ستة اشهر بعد انتهاء الحرب ، أو من عقد الصلح ، اى الامرين يتم التوصل اليه اولا • وقبل نهاية الحرب انضمت فرق فنية اميركية الى الجيوش البريطانية والروسية المرابطة فى ايران لتتعهد نقل المساعدات الاميركية الى روسيا • وكانت تلك الترق تشرف على تيسير القطارات من جنوب ايران حتى طهران ، وكذلك تشرف على النقل البرى بواسطة السيارات من الجنوب الى الشمال •

- ٨ -

واحتلال الحلفاء لايران اثار مخاوف تركيا حتى بعد ان تم عقد المعاهدة الثلاثية • فما ان اجتازت الجيوش الروسية الحدود الايرانية وتوغلت نحو قلب البلاد حتى اصبح الروس يجاورون تركيا من الناحيتين الشرقية والشمالية • يضاف الى ذلك ان تركيا كانت تخشى تسرب الدعاية الروسية الى المناطق الكردية من بلادها ، سيما وقد وقعت المناطق الكردية الايرانية تحت

النفوذ الروسى • ولم تكن سنة ١٩٤١ من السنين المباركة بالنسبة للعلاقات الانكليزية التركية • فالضغط المحورى وضغط الظروف الاقتصادية بلغا غايتيهما • واضطرت تركيا الى عقد معاهدة عدم اعتداء مع بلغاريا كما عقدت معاهدة صداقة مع المانيا ، تضمنت تأكيدات بعدم الاعتداء على الطرفين المتعاقدين ويتعهدا بحل جميع المشاكل ذات المصالح المشتركة بطرق ودية • وكانت الحكومة البريطانية على بينة من الوضع الحرج الذى صارت اليه تركيا ، كما كانت تقدر الظروف العسيرة التى كانت تجتازها • ومع ان تركيا كانت تشعر بريطانيا سرا بجميع مراحل المفاوضات التركية الالمانية ، الا ان بريطانيا ظلت فى ريبة من موقف تركيا • ومما زاد فى مخاوفها اصرار تركيا على تزويد المانيا بالكروميوم المادة الحيوية للمجهود الحربى • ولم تتوقف عن ذلك الا فى نيسان من عام ١٩٤٤ •

- ٩ -

وتحسن وضع الحلفاء فى مصر تحسنا كبيرا بعد عودة النحاس باشا ، زعيم حزب الوفد ، الى الحكم فى شباط من عام ١٩٤٤ • ومع ان بريطانيا استعملت بعض الضغط لاحداث ذلك التغير ، فان الشعب المصرى تلقى عودة النحاس برضا وحماس • ولا ريب ان وجود حكومات صديقة فى مصر والعراق وايران وسوريا جعل الشرق الاوسط فى استنفار مع وجود الالمان على مقربة من طرفيه الشمالى والغربى • ومما يسر ان الحكومة المصرية بقيت صامدة فى اخرج الاوقات ، وخاصة عندما كان زومل على بعد اقل من مائة ميل من الاسكندرية • وربما كان المصريون يفضلون البريطانيين المعروفين لديهم على الايطاليين غير المعروفين ، ذلكم لانه كان مقررا انه فى حالة انتصار

دول المحور ستكون مصر من نصيب موسوليني •

وبعد ان حطمت قوات المحور بشمال افريقيا فى مايس من عام ١٩٤٣ ،
اتجه تيار الحرب اتجاها كفل سلامة الشرق الاوسط • وزاد فى اطمئنان
ايران ان مؤتمر طهران المنعقد فى تشرين الثانى من العام المذكور شدد على
تحقيق الوعود التى قطعتها كل من روسيا وبريطانيا لايران فى معاهدة عام
١٩٤٢ ، وايدها الرئيس روزفلت • ومع ان الوضع العام للحلفاء تحسن
تحسنا كبيرا ، فان تركيا رفضت طلب الحلفاء للاشتراك فى الحرب مدعية
بان خطوط دفاعها لم تكن بالقوة الكافية ، وان موقفها الحيادى يخدم مصالح
الحلفاء كما يؤمن مصالحها الذاتية • فانها ما دامت على الحياد تستطيع حماية
سوريا وفلسطين من اعتداء المحور • والتاريخ وحده حكم عادل فى سلامة
قرار تركيا هذا • غير ان الحكومة البريطانية شعرت بأنها لا تستطيع
الاستمرار بارسال مواد حربية الى بلد محايد كتركيا فى وقت هى احوج
ما تكون اليها فى بلدان محاربة أخرى • وهذا ما جعل الحكومة البريطانية
تتوقف عن ارسال المؤن الحربية الى تركيا ، وتسحب البعثة العسكرية
البريطانية منها •

- ١٠ -

وكان من نتائج قلة وسائل الشحن البحرى ، واضطراب اوضاع التجارة
الخارجية خلال سنوات الحرب ، ان جابه الشرق الاوسط مصاعب اقتصادية
جمة • ولكى تخفف وطأة تلك المصاعب اقامت الحكومة البريطانية فى
القاهرة عام ١٩٤١ مركز تموين الشرق الاوسط^(١) • وساهمت الولايات

Middle East Supply Centre.

(١)

- ١٨٤ -

المتحدة فى تدعيم هذا المركز بعد عام من تأسيسه • وكانت الاهداف التى يتوخاها هذا المركز الاقتصاد فى استخدام وسائل الشحن البحرى ، وانماء المصادر الاقتصادية المحلية ، وتنظيم توزيع ما يفيض عن تلك الاقطار مما يتوفر لديها من منتجات اقتصادية وما تستورده من بضائع من بريطانيا واميركا • فمما قام به هذا المركز تشجيعه زراعة القمح فى مصر ، والاقبال من زراعة القطن ، وتوسيعه المجال الزراعى فى سوريا • فبمساعدة شركة من جنوب افريقيا ذات اختصاص بجغرافية مياه السقى ، امكن ايصال مياه الينابيع فى الجبال لارواء بضع آلاف من الافدنة من اراضى السهل الساحلى لم تزرع فى الماضى لتعذر اروائها • وبذلك زادت الثروة العامة للبلاد زيادة محسوسة ثابتة • كذلك وزع مركز التموين مقادير عظيمة من المواد المستوردة الخاضعة لنظام الاعارة والتأجير ، كالسكر والشاى والاقمشة والمواد العلية • وقد تم نقل جميع هذه المواد ببواخر الحلفاء التى كانت تتعرض لمخاطر جد عظيمة قلما كان يشعر بها مستهلكوها ، وحتى اذا ما ادركوا مبلغ تلك المخاطر فانهم قلما يكثرثون لها • يضاف الى ذلك ان مركز تموين الشرق الاوسط ساهم بتقديم المساعدات الفنية لامكان دراسة المشاكل الزراعية وغيرها من المشاكل الاقتصادية ، كما ساهم فى مكافحة الجراد والقضاء على أخطاره البالغة • وحتى المملكة العربية السعودية رحبت بالمساعدات البريطانية والمصرية لمكافحة اخطار الجراد • وفى ايران كانت مكافحة الجراد على نطاق واسع جدا ساهم فيها خبراء بريطانيون وعونهم عدد ليس بقليل من افراد الجيش الهندى ومن الموظفين الايرانيين • كما اشتركت الطائرات البوفياتية فى مكافحة برشها المواد السامة من اعالى الجو على المناطق الموبوءة •

ولكثرة ما كانت تنفقه جيوش الحلفاء المرابطة فى اقطار الشرق

الأوسط من أموال اخذت بوادر التضخم النقدي تظهر في هذه الاقطار .
ولم تقم حكوماتها بما يخفف من وطئة ذلك التضخم . ذلكم لان السيطرة
على التموين وعلى أسعار السلع كان يتطلب ادارات جديدة وحازمة ليس من
السهل على بلدان الشرق الأوسط ايجادها . كما ان فرض ضرائب عالية على
الدخل لم يكن ليرضى الاثرياء ممن بيدهم مقاليد الحكم . ولهذا أخذت
الاسعار بالارتفاع السريع ، فنجم عن ذلك ان اتسعت الشقة بين الاغنياء
والفقراء اتساعا كبيرا مخطرا .

وكانت هذه الظاهرة جد بينة في ايران ولا سيما بعد تنازل الشاه عن
العرش وتصدع الجهاز الحكومي من أثر ذلك ، سيما وان قوة الحكومة
الايرانية كانت مستمدة من قوة الشاه . وعجزت السلطات الايرانية عن
جمع الحنطة من المناطق المنتجة لها بالسعر الذي حددته الحكومة وعن توزيع
ما يجب توزيعه منها في المناطق المحتاجة لها . فاضطر الحلفاء الى تموين
ايران بالحنطة . وقد بلغت كميات الحنطة التي قدمتها الحكومة البريطانية
لايران نيف وتسعين ألف طن من الحنطة خلال عامين من احتلال ايران .
يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية عينت على نفقتها الخاصة ، عددا كبيرا
من الموظفين لمساعدة السلطات الايرانية في جمعها الحاصلات الزراعية
ولاستلام الكميات الواجبة التسليم الى الحكومة من الحنطة بالسعر المقرر .
وبعد ان استخدمت الحكومة الايرانية الدكتور ملسبو^(١) وغيره من الخبراء
الاميركان لاعادة تنظيم الوضع المالى والاقتصادى فى البلاد ، اشترك الموظفون
البريطانيون وحتى الايرانيون المعينون من قبل السلطات البريطانية فى معاونة

اولئك الخبراء الاميركان • ولو امكن تعاون الحلفاء الثلاثة فى اتخاذ تدابير اقتصادية فعالة من اجل اصلاح الوضع فى ايران لصارت ظروفها الاقتصادية العامة على خير ما يؤمل منها • غير ان الروس فضلوا اتباع سياسة اقتصادية خاصة • ويعتبر اصرار الروس على تنفيذ سياسة انفرادية من الامور التى يؤسف لها ، سيما وان القسم الشمالى من البلاد خاضع لاحتلالهم وهو غنى بالمواد الغذائية التى تفتقر اليها الاقسام الباقية من البلاد •

وعلى العموم استمرت العلاقات البريطانية الايرانية تتقدم تقدما حسنا • ولما كانت دوائر الاستخبارات البريطانية لا تعتمد كل الاعتماد على الشرطة الايرانية فى اقتفائها أثر الجواسيس والمظليين الالمان والقاء القبض عليهم ، ولان الايرانيين كرماء بالنسبة الى اولئك الذين يستنجدون بهم ، فانهم لم يقدروا ضرورة اعتقال الايرانيين الذين لهم ميول عدائية نحو الحلفاء ، ولذا فان الحلفاء اضطروا انفسهم الى البحث عن الجواسيس الالمان واعتقال الايرانيين الموالين الى دول المحور • ولا ينكر ان عددا ليس بقليل من الساسة البارزين ومن كبار الموظفين الايرانيين تعاونوا وثيقا مع الحلفاء ، وان آلاف عديدة من العمال الايرانيين استخدمهم الحلفاء فى بناء السكك الحديدية وتعبيد طرق المواصلات وانشاء الموانئ وفى غيرها من الاعمال التى كان الحلفاء يحتاجون اليها فى مجهودهم الحربى • فمن أمثلة ذلك ان قوافل سيارات النقل التابعة للشركة التجارية للمملكة المتحدة والتى يقودها سواق وميكانيكيون ايرانيون نقلت مقادير من المساعدات المرسلة الى روسيا اكثر وفرة مما نقلته قوافل السلطات العسكرية الاميركية أو البريطانية أو الروسية • وفى اوائل عام ١٩٤٤ تقدم الى الحكومة الايرانية ممثلو احد شركات

النفط البريطانية وممثلوا شركتين من شركات النفط الاميركية طالبين منح شركاتهم امتياز التحري عن النفط في جنوب ايران • وصادف ان تقدمت الحكومة السوفياتية اثناء ذلك طالبة منحها حق التحري عن النفط في المناطق الشمالية واستغلال مساحات واسعة من تلك المنطقة اذا ما عثرت على النفط فيها • فما كان من الحكومة الايرانية الا ان تقرر تأجيل النظر بجميع تلك الطلبات الى ما بعد الحرب • وتلقت الشركات البريطانية والاميركية قرار الحكومة الايرانية برضى ؛ فهي حكومة مستقلة ولها ان تتصرف ببلادها كما تشاء • غير ان الدعاية السوفياتية هاجمت رئيس وزراء ايران هجوما عنيفا مما اضطره الى الاستقالة كي لا يضع بلاده موضعا حرجا • وخشية ان يتفاقم الامر بين الدولتين ، أسرع البرلمان الايراني الى تشريع قانون يمنع منح أى امتياز للنفط الى أية دولة أجنبية أو الى أى شخص ما لم يقترن المنح بموافقة البرلمان • كما فرض القانون عقوبات مشددة على من يفاوض من أجل ذلك بدون تخويل من البرلمان •

وفى هذا الظرف الدقيق ظهرت حركة استقلالية فى مقاطعة ازربيجان الايرانية حيث تعسكر الجيوش السوفياتية بمقتضى معاهدة ١٩٤٢ ، وطالب زعماء الحركة بمنح مقاطعتهم استقلالا ذاتيا • واعتقد الايرانيون ان الباعث لتلك الحركة هم الروس • بينما أعلن الروس انها لم تكن الا حركة ذاتية ظلت كامنة بتأثير سياسة الضغط التى كان يتبعها رضا شاه ؛ فلما زالت تلك السياسة أخذت الحركة بالظهور •

- ١١ -

ووضعت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ نهاية للضغط الروسى على جيران روسيا الجنوبيين تركيا وايران والذي دام بضع سنوات • ولكن ما ان انقشع

- ١٨٨ -

الخطر الألماني عن روسيا عند نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عادت الى سياستها القديمة ، فأخذت تضغط على جيرانها من جديد • ومما يجب الا ينسى ان الالمان حاولوا جهدهم اثارة مخاوف كل من روسيا وتركيا في نوايا الواحدة نحو الاخرى • فادعوا انهم وجدوا من بين الوثائق التي وضعوا ايديهم عليها في باريس دلائل تثبت ان الاتراك اتفقوا مع انكلترا وفرنسا على القيام بهجوم جوى على باكو في حالة قيام روسيا بالهجوم على فنلندا • وفي الوقت ذاته كانوا يزعمون بعد ان باشروا بالهجوم على روسيا ، وبعد ان وضعوا نهاية للاتفاق الألماني الروسي ، ان الروس كانوا يلحون لمعرفة الموقف الذي ستقفه المانيا اذا ما قامت روسيا بضم المضائق الى ممتلكاتها • كذلك ان روسيا كانت تشكو من موقف تركيا الحيادي فيه مساعدة للالمان • وكان رد تركيا على ذلك ان الاتفاقات العسكرية التي عقدتها مع الحلفاء دليل على بطلان ذلك الزعم • والغريب ان روسيا أخذت تطالب بمقاطعتي قارص واردهان وقد سبق لروسيا ان ردت هاتين المقاطعتين الى تركيا بعد الحرب العالمية الاولى لانها مقاطعات تركية • كما طالبت بمنحها قاعدة بحرية على البسفور لتشارك في الدفاع عن المضائق • وقد تقدمت روسيا بطلبها هذا الى حلفائها في مؤتمر بوتسدام معتبرة ان العرض الذي قدمته بريطانيا بالاشتراك مع الولايات المتحدة بما يخص حرية الملاحة في المضائق عند حالتى السلم والحرب غير كافية لتأمين المصالح الروسية •

ولكى لا تبدى بريطانيا والولايات المتحدة معارضتها لمطالب روسيا غير العادلة طلبت الدولتان من الحكومة التركية الاسراع بعقد مؤتمر يعيد النظر بميثاق مونترو المعقود عام ١٩٣٦ ، سيما وان فيه ما يفسح المجال لاعادة النظر بمواده كلما دعت الظروف الى ذلك • ومع ان التعديلات التي اقترحتها

بريطانيا والولايات المتحدة ليست بذات أهمية كبيرة الا ان عقد المؤتمر سيفسح المجال أمام روسيا لازالة ما كانت تشعر به من مخاوف بالنظر لموقف تركيا • ومع ذلك فإن الروس رفضوا في مذكرة تهديدية اقترح تركيا لاعادة النظر في الميثاق المذكور •

وفي الوقت ذاته كانت صحافة روسيا وأذاعتها تقوم بحرب دعاية واسعة ضد تركيا • وان حكومة جورجيا التابعة لروسيا أخذت تطالب بضم جزء كبير من بلاد الانضول اليها • واتهمت روسيا تركيا بأنها سمحت لبريطانيا باقامة قواعد عسكرية بالقرب من المضائق ، وشجعت الشيوعيين اليونانيين ليقوموا بحركات اعتدائية على الحدود التركية اليونانية ؛ الامر الذي دعى تركيا الى تشديد الرقابة على تلك الحدود أيضا • ولم تكن تركيا لتكثر لتهديدات روسيا ولكنها كانت مضطرة الى الاحتفاظ بجيش كبير على أهبة الاستعداد • يضاف الى ذلك ان تكاليف التجنيد العام الذي دعت اليه تركيا خلال سنوات الحرب اثقل كاهل الاقتصاد التركي • وقد اشارت الى ذلك المذكرة التي وجهها الرئيس ترومان الى الكونغرس الاميركي في مارت من عام ١٩٤٧ • فمما جاء في تلك المذكرة ان تركيا طلبت مساعدات مالية من بريطانيا ومن الولايات المتحدة ليتسنى لها القيام بما يمكنها من المحافظة على سلامة استقلالها • ولم يكن في وسع الحكومة البريطانية بعد اليوم تقديم المساعدات المالية لتركيا • وان الولايات المتحدة الاميركية وحدها تستطيع ان تمد لها يد المساعدة • وغرض تلك المساعدات « ضمان تطور الشعوب تطورا بعيدا عن تيارات الحرب ، وانماء مؤسساتها الحرة ، وضمان سلامة استقلالها من الحركات الاعتدائية التي تهدف الى فرض نظم جماعية ، تلك النظم التي من شأنها ان تضعف أسس السلام ، وبالتالي سلامة الولايات المتحدة » • وتلبية

لطلب الرئيس ترومان قرر الكونغرس تخصيص اعتمادات وافرة لمساعدة تركيا (وكذلك اليونان) ، كما أقر تلبية طلب الاقطار المتخلفة للخبراء المدنيين والعسكريين ليساهموا في اعمارها .

- ١٢ -

واذا ما كان الضغط الروسي على تركيا ضغطا خارجيا ، فانه كان بالنسبة الى ايران ضغطا داخليا . ومرد ذلك وجود الجيوش الروسية في شمال ايران ، وان كان وجودها لا يعنى احتلال البلاد احتلالا عسكريا . وقد سبق لبريطانيا وروسيا ان اتفقتا على رفض طلب حكومة ايران بشأن سحب جيوشهما من بلادها حالما يتحقق اندحار المانيا . لان الشرق الاوسط بنظر هاتين الدولتين حلقة هامة من حلقات سلسلة مواصلات الحلفاء لدحر اليابان . على ان بريطانيا وايران اتفقتا على سحب جميع الجيوش الاجنبية من الاراضي الايرانية بعد انقضاء ستة أشهر من تاريخ تسليم اليابان ، أى بعد اليوم الثانى من مارت عام ١٩٤٦ . وكانت روسيا السوفياتية مؤيدة لذلك الاتفاق بدليل الرسالة التى وجهها وزير خارجيتها الى وزير خارجية بريطانيا فى ايلول من عام ١٩٤٥ ؛ والتى يقول فيها ان الاتحاد السوفياتى يعلق « أهمية بالغة » على تنفيذ الالتزام المذكور . وقد اضطرت الحكومة الايرانية الى رفع شكواها الى هيئة الامم المتحدة قبل حلول شهر مارت سنة ١٩٤٦ لتصرف روسيا فى ايران . فقد اشتدت عنفا حركة ازربيجان ضد حكومة طهران . الامر الذى اضطر الحكومة الايرانية الى ارسال قوة من الجيش بقصد تقوية حامية تبريز . ولكن السلطات السوفياتية ، مع ادعائها بانها محايدة ، اوقفت تلك القوة فى قزوین ومنعتها من التقدم . وفى كانون الاول عندما استولى

الثوار في ازربيجان على المواقع الهامة من المدينة منع الروس خروج الحامية
الايرائية في تبريز من معسكراتها .

وقد حاول البريطانيون والاميركان ايجاد حل لهذه المعضلة ولكنهم
فشلوا ، كما عجزت الحكومة الايرانية من اقناع الحكومة السوفياتية لاجراء
مفاوضات بشأن ازربيجان . ولهذا تقدمت ايران بشكواها ضد روسيا الى
مجلس الامن ، على أساس ان تدخل السوفيات في الشؤون الداخلية لايران
من شأنه ان يؤدي الى احتكاك دولي . وقد حاول ممثلا روسيا السوفياتية
واوكرانيا في المجلس التذرع باتهامات لا صحة لها ، زعموا فيها بان الحكومة
البريطانية تتدخل بشؤون اليونان واندونيسيا الداخلية . فلما لم تجد تلك
الاتهامات نفعا أعلنت الحكومة السوفياتية استعدادها لمتابعة المفاوضات التي
قطعتها الحكومة الايرانية . فوافق المجلس على استمرار المفاوضات المباشرة
بين الطرفين المتنازعين على أن يشعر المجلس بتطورات تلك المفاوضات .

وحل اليوم الثاني من شهر مارت سنة ١٩٤٦ دون ان تنته المفاوضات .
بينما ارتحلت الجيوش البريطانية في ذلك اليوم وسبقها قبل ذلك الجيوش
الاميركية . اما الروس فقد أعلنوا بأن جيوشهم في الوقت الذي تنزح فيه
عن القسم الشمالي الشرقي من ايران فانها ستظل مرابطة في المقاطعات الشمالية
الآخري الى ان ينجلي الموقف . وقد « انجلي » الموقف في شهر يسان عندما
استطاع الروس الحصول من رئيس الوزراء قوام السلطنة على وعد خطي بانه
سيتقدم الى البرلمان بلائحة قانون يجيز تأليف شركة النفط الايرانية
السوفياتية . وستكون اسهمها موزعة بين الدولتين بنسبة ٥١٪ لروسيا
و ٤٩٪ لايران ، وان تحل القضية الازربيجانية حلا سلميا وبروح مراعاة
حقوق السكان . وبعد ان تم الاتفاق على ذلك سحبت ايران شكواها من

مجلس الأمن • وبعد مرور شهرين من التاريخ الذي حددته معاهدة عقدت بين الدولتين للانسحاب ، نزلت الجيوش الروسية فعلا عن ايران • وقد تأخر تقديم لائحة القانون السابق الذكر نتيجة تأخر اجراء الانتخابات العامة ولاسيما في ازربيجان • لان اعادة السيطرة الايرانية على تلك المنطقة تطلب وقتا طويلا - حتى آب من عام ١٩٤٧ ، فلما رفض المجلس هذا القانون بأكثرية ساحقة ، حملت الدعاية الروسية حملة عنيفة مركزة على قرار المجلس ، وعزته الى نكوت رئيس الوزارة الايرانية بوعده ، وانه تأمر مع شركة النفط الايرانية الانكليزية • والحقيقة ان الدعاية الروسية عزت موقف ايران هذا الى كل شيء عدا السبب الحقيقي ، وهو خوف ايران من نفوذ التأثير الروسي الى بلادها ، ومن تدخل الروس في الشؤون الداخلية اذا ما سمح بتأليف شركة نفط يسيطر عليها الروس •

وبالوقت ذاته أخذت الدعاية السوفياتية في مهاجمة المصالح البريطانية • وكان حزب تودة الذي يرسم الخطى السوفياتية يعاون ويشجع تلك الدعاية • فدبر اضرابا بين عمال شركة النفط الايرانية الانكليزية ، وسادت في البلاد دعاية مفادها ان شركة النفط تستخدم العرب بدلا من الايرانيين • وحدثت اضراب في مؤسسات النفط بمدينة كركوك في العراق يدل على أمرين : احدهما وجود اتصال بين عمال شركة النفط الايرانية الانكليزية وعمال شركة نفط العراق ، والاخر ان رؤساء الشعب المهيمنة على شؤون العمال في الشركتين لم يحسن اختيارهم • سيما وان عمال شركات النفط يتمتعون بشروط استخدام لا يتمتع بها غيرهم من مستخدمي المؤسسات الاخرى في ايران والعراق •

كذلك اتهمت الدعاية السوفياتية بريطانيا بانها أثارت الاضطرابات في

جنوب ايران وحرضت القبائل العربية عام ١٩٤٦ ضد الحكومة المركزية •
والحقيقة ان عشائر جنوب ايران كانت ترفض دائما سيطرة طهران وان
حركتهم تلك لم تكن الا انتفاضة على ما كان يفرضه عليهم رضا شاه من ضغط
وشدة • ويعزرو البعض حركة تلك القبائل الى نزعة قومية لمقاومة سياسة
طهران المستوحاة من الحكومة السوفياتية ، ومن أعوانها في ايران - اعضاء
حزب تودة • ومهما كانت الاوضاع الراهنة يوم ذاك في ايران ، فان وجود
حكومة قوية مما يدعم المصالح البريطانية • ولهذا السبب ولغيره من الاسباب
قررت الحكومة البريطانية عام ١٩٤١ وجوب الكف عن تشجيع أية قبيلة ايرانية
ضد حكومتها مهما كانت أسباب تدميرها من حكومتها • ومنذ ذلك الحين ظلت
الحكومة البريطانية أمينة على تنفيذ ذلك القرار • وكم انزعجت السلطات
البريطانية في ايران بادىء الامر عندما وجدت ان الحكومة الايرانية ميالة الى
تصديق التقارير السوفياتية بأن اثنين من الموظفين البريطانيين اتصلوا بالقبائل
فأثاروهم ، ولذا فقد طلبت سحب ذينك الموظفين • الا ان الحكومة الايرانية
بعد أن تأكدت من بطلان المزاعم السوفياتية لم تلح على طلبها السابق ، مما
يدل على ان ذلك الطلب لا يمثل الميل الحقيقي للحكومة الايرانية نحو الحكومة
البريطانية أو نحو الموظفين البريطانيين •

وبعد ان قررت حكومة الولايات المتحدة الاميركية مساعدة ايران لدعم
كيانها الداخلي ، تبدل الوضع فيها وأخذت الدولة تزداد قوة • ففي كانون
الثاني من عام ١٩٤٨ منحت الولايات المتحدة ايران قرضا بمبلغ خمس
وعشرين مليون دولار ، ليتيسر لايران شراء مواد حربية من الولايات المتحدة
الاميركية يحتاج اليها الجيش والدرك الايراني ، القوتان اللتان تعهدت
تنظيمهما مجموعة من الضباط الاميركان منذ سنوات عدة • وما ان تأكدت

الحكومة السوفياتية من قبول ايران ذلك القرض حتى قدمت احتجاجا شديد
اللهجة مدعية بأن المستشارين الاميركان يعدون ايران لان تكون قاعدة للولايات
المتحدة وانهم ينشؤون مطارا بالقرب من الحدود الروسية ، كما انهم يقيمون
استحكامات عسكرية عندها . وان موقف ايران هذا مخالف لاحكام المعاهدة
الروسية الفارسية المعقودة عام ١٩٢١ ، التي نصت على انه يجوز لروسيا ان
تبعث بجيوشها الى ايران اذا ما استخدمت ايران قاعدة عسكرية لحركة
معادية لروسيا . ومع ان الفقرة التي تمسكت بها روسيا حددت مفعولها
الرسائل المتبادلة بين ايران والحكومة القيصريية ، فان جميع التهم المضمنة
في تلك المذكرة ردتها حكومة واشنطن ردا شديدا . وفي شهر مايس من
عام ١٩٤٨ قررت الولايات المتحدة ان تبعث الى ايران بمقادير من الاسلحة
التي لا يمكن ان تستخدم للاعتداء على دول أخرى ، بضمنها بعض الدبابات
والمدافع وطائرات مقاتلة ، بلغت كلفتها ستين مليون دولار . وكان الغرض
الاول من هذه المساعدة دعم سلامة البلاد الداخلية . فالاستقرار الداخلي
لبلدان الشرق الاوسط كافة وايران خاصة من الشؤون التي تعنى بها الولايات
المتحدة الاميركية ، وتهتم بها .

وفي عام ١٩٤٩ بدأت المفاوضات بين بريطانيا وايران بشأن ناحيتين
هامتين من نواحي المصالح البريطانية في ايران - البنك البريطاني وشركة
النفط . فان امتياز البنك الامبراطوري في ايران ادرك نهايته ، ومع ذلك فقد
سمح له بمتابعة أعماله حسب شروط وافقت عليها الحكومة الايرانية . اما
امتياز شركة النفط الانكليزية الايرانية فانه لا ينتهي الا في عام ١٩٩٣ .
وبالنظر للسياسة التي انتهجتها الحكومة البريطانية بشأن توزيع الارباح والتي
أقرتها الشركة ، فانها أبدت استعدادها لان تدخل في مفاوضات مع الحكومة

الايرائية تهدف منها تدليل المصاعب الناشئة عن تنفيذ تلك السياسة • وبطلب من الحكومة الايرانية فان مجال المفاوضات اتسع حتى شمل المشاكل الاقتصادية الاخرى • وفي تموز من عام ١٩٤٩ تم الاتفاق على جميع النقاط المختلف عليها • ومما اتفق عليه الطرفان زيادة عوائد النفط زيادة تجعل مدخولات الدولة من النفط مصدرا هاما لتمويل وانماء مشاريعها الاقتصادية •

- ١٣ -

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية كانت سوريا ولبنان تحت السيطرة الفرنسية • فلما شارفت الحرب على نهايتها ، نالت سوريا كما نال لبنان استقلالها الكامل • وانتهت الوعود الفرنسية بمنح سوريا استقلالها وانهاء الانتداب ببيان اصدرته فرنسا بأنها لن تتخلى عن « صداقتها » أو المكانة الممتازة التي استطاعت الحصول عليها خلال قرون مضت • كذلك أعلنت بريطانيا بعد اخماد مقاومة جيوش فيشى في سوريا ولبنان ، ان ليس لها مطامح في هذين البلدين ، وانها تعترف بمكانة فرنسا الممتازة في القطرين المذكورين • ولما كان نظام الحكم خلال مدة الانتداب الفرنسي جد معقدا ، ولا ينسجم مع حياة الفرد الحر فان الاتجاه العام كان لتغييره • فما أن أصر الفرنسيون على اجراء انتخابات حرة حتى جاءت النتائج خلاف ما كانوا يتوقعون • فقد فاز القوميون فوزا ساحقا • فلما استلموا مقاليد الحكم اشغل الوطنيون الوظائف التي كان الفرنسيون يشغلونها من قبل • ولم يرض الفرنسيون عن هذه النتائج ، سيما وقد وجدوا أنفسهم معزولين عن وطنهم الاصلى ، أقلية خارج بلادهم ، ولهذا ترددوا في التوقيع على الوثيقة التي تضع نهاية لعلاقاتهم بهذه البلاد ، تلك العلاقات التي بدأت منذ العهد الصليبي • فما كان منهم الا ان

قاموا بعمل لم يكن متوقعا ، ولا يدل على حكمة ، وهو القبض على رئيس وزراء لبنان واعضاء وزارته ، واودعهم السجن • ولم يطلق سراحهم ويعادوا الى مناصبهم الا نتيجة للضغط البريطاني الشديد •

وانتهت الازمة بأن عقدت اتفاقات بين الفرنسيين واللبنانيين والسوريين، نقلت السلطات التي كان الفرنسيون يمارسونها سابقا الى ابناء البلاد • ومع ان الكتائب العسكرية المؤلفة من الوطنيين سلمت الى الحكومات الجديدة ، الا ان الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق بشأن « الجيوش الخاصة »^(١) • وقد عزي الفرنسيون الاسراع بحل هذه المشاكل الى الموقف المعادي الذي وقفه الوزير البريطاني • ومع ان خلف الوزير المذكور حاول جهده التوسط بين الفرنسيين والحكومات الوطنية في سوريا ولبنان الا انه عجز عن تقريب وجهات نظر الطرفين ، لان الفرنسيين كانوا يصرون على الابقاء على ما كان لديهم من قواعد عسكرية وجيوش في البلدين • ومما زاد في الامر تعقيدا وصول الجيوش السنغالية الى سوريا فور عقد الهدنة مع الالمان مما أثار مخاوف السوريين واللبنانيين وجعلهم يعتقدون بأن الفرنسيين بعد ان زال عنهم الخطر الالمانى يهدفون من استقدامهم تلك الجيوش اتباعهم سياسة الشدة • وكان من أثر تصلب الفرنسيين في سياستهم هذه ، ان حدثت معارك بين الطرفين في مواضع مختلفة من البلاد ، بلغت شدتها عندما قصف الفرنسيون دمشق بمدافعهم الثقيلة ، قصفهم لها عند احتلالها قبل نيف وعشرين عاما • ولما كان استقرار الشرق الاوسط من الامور الهامة بالنسبة لحرب الحلفاء مع اليابان ، فان القيادة العامة البريطانية أصدرت أوامرها الى السلطات الفرنسية بوجوب ايقاف المعارك ، وحجز عساكرها في ثكناتهم • وقد اضطرت السلطات الفرنسية

(1) Tropes Speciales.

الى الرضوخ لرغبة القيادة البريطانية فى نهاية عام ١٩٤٦ ، بعد ان استنجدت
حكومتا لبنان وسوريا بهيئة الامم المتحدة * فانسحبت جميع الجيوش
البريطانية والفرنسية من هذا الجزء من الشرق الاوسط *

ويعزو الفرنسيون فشلهم فى سوريا الى مؤامرة دبرها البريطانيون ،
متناسين ما ارتكبوه من أخطاء فى تلك البلاد ، ومتجاهلين ثورة الشرق على
الغرب * ومما زاد فى حقهم استخدام الحكومة السورية بعض المستشارين
البريطانيين ، وقد اعتبر الفرنسيون هذا العمل انتهاكا لتعهدات سوريا بانها
ستعطى المكانة الاولى الى فرنسا والفرنسيين * ومما يجب ان يوضح بهذا
الصدد ان ذلك الالتزام مقترن بالتزام آخر تلكأت فرنسا فى تنفيذه ، وهو
الاعتراف باستقلال كلتا الدولتين - سوريا ولبنان * ومما لا ريب فيه ان
البريطانيين لا يترددون فى الاعتراف بأى تفضيل تمنحه حكومتا سوريا ولبنان
الى الفرنسيين * غير ان الضغط على تينك الدولتين لمنح الفرنسيين التفضيل
المذكور ، أو السماح لفرنسا لاذلال السوريين واللبنانيين على حساب الاضرار
بخطوط مواصلات الحلفاء مع الشرق فأمور فيها نظر * ومن الغريب ان
الفرنسيين كانوا دوما يصرون على زعمهم بان سلسلة المؤامرات البريطانية
التي بدأت عند احداث حكومة فيصل فى دمشق عام ١٩١٨ ، هي التي حرمتهم
من حقهم التاريخي فى هذا الجزء من الشرق * والشكوك المتبادلة بين فرنسا
وانكلترا قديمة وبالغة حدودها القصوى * ففي أوائل القرن الثامن عشر كان
الانكليز النازحون الى اميركا يزعمون بان الجزويت الفرنسيين كانوا يعلمون
الهنود بان انكلتره ليست الا مقاطعة تابعة الى ملك فرنسا ، وهذا ما دعى
السلطات الانكليزية الى استقدام طائفة من زعماء الهنود الى انكلترا ليتثبتوا
بأنفسهم من ان لا علاقة لملك فرنسا بانكلتره * وربما كانت مزاعم الانكليز

عن الجزويت ليست بأكثر صدقا من التهم التى كان الفرنسيون يتهمون بها الضباط الانكليز ، بانهم كانوا يحرضون العرب على مهاجمة السيارات الفرنسية ، واغتيال من فيها حتى وان كانوا من النساء .

- ١٤ -

وما ان أدركت مصر ان الحلفاء كاسبون الحرب ، حتى أخذت تطالب بتعديل المعاهدة المصرية البريطانية ، مقابل ما قدمته لبريطانيا من خدمات خلال سنوات الحرب . وكانت مدة المعاهدة عشرين عاما ، الا ان احدى موادها جوزت تعديلها بعد اتفاق من الطرفين المتعاقدين ، وعلى ان ينسلخ من عمر المعاهدة عشرة أعوام ؛ وبمعنى آخر انه لا يجوز اجراء مفاوضات لتعديلها قبل كانون الاول من سنة ١٩٤٦ . ولكى يبرر المصريون طلبهم تعديل المعاهدة قبل التاريخ المحدد للتعديل ، أعلنوا ان التوقيع على المعاهدة جرى بظروف القاهرة ، وانهم اكرهوا على التوقيع عليها . متناسين ان الظروف القاهرة الناجمة عن وجود الجيوش البريطانية فى مصر كانت أخف وطئة على المصريين من الظروف التى كانت تهددهم باحتلال موسوليسى لبلادهم ، ذلك الاحتلال الذى حالت دونه بريطانيا وحلفاؤها . وقد أغتيل رئيس الوزراء الذى تولى الحكم بعد النحاس باشا ، أى بعد ان نحتت وزارة الوفد فى تشرين الاول عام ١٩٤٤ ، لانه دفع مصر لاعلان الحرب على المانيا . وكان من أثر ذلك ان قدمت الحكومة المصرية فى كانون الاول من عام ١٩٤٥ طلبا خطيا لتحقيق هدفين رئيسيين : سحب جميع الجيوش المصرية البريطانية من مصر ، والاعتراف « بوحدة وادى النيل » بضم السودان الى التاج المصرى . وأعلنت الحكومة البريطانية استعدادها للمفاوضة من أجل سحب جيوشها

من مصر ؟ كما انها اوضحت بجلاء ان ذلك لن يتم ما لم تتخذ التدابير من أجل تحقيق التعاون المتبادل الذى اشترطته معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وما لم ينته أمد المعاهدة . وقام الطرفان بمفاوضات لم تبلغ غاية حاسمة ؛ ذلكم لان الوفد المصرى المفاوض لم يرض بقبول أية قاعدة عملية للتعاون المتبادل . فآثر المصريون الرجوع بقضيتهم الى هيئة الامم المتحدة ، معتقدين بان الهيئة ستأخذ بوجهة نظرهم . ولكن سرعان ما اصبوا بخيبة أمل بعد ان قررت الامم قرارها المعروف بشأن فلسطين . ومع ذلك فان المفاوضات لم تنقطع الا بسبب اختلاف وجهات النظر بشأن السودان . فقد كانت وجهة نظر الحكومة البريطانية ان يترك للسودانيين حرية تقرير مصيرهم ، سواء ارغبوا بالانضمام الى مصر أم بالاستقلال عنها ؛ بينا كان المصريون يرغبون بربط السودان بمصر ربطا نهائيا ، تاركين للسودانيين أمر اختيار شكل الاتحاد المطلوب .

ومع توقف المفاوضات ، فان الحكومة البريطانية سحبت جميع جيوشها من القاهرة ومن جميع المناطق الاخرى عدا منطقة قناة السويس . وبدلا من ان يقدر المصريون موقف بريطانيا هذا ، فانهم قاموا بمظاهرات عنيفة وصاخبة اشترك فيها طلاب المدارس على اختلاف مراحل دراستهم . فكان من أثر ذلك ان اغتيل عدد من الجنود البريطانيين وبعض الساسة من المصريين . ودبرت مؤامرة للقيام بحركة اغتالات واسعة . ولتقدير مبلغ شدة هذه الحركات لابد من التنويه بان المصريين كانوا يعاملون خصومهم من المصريين بعنف وبشدة . وقد بلغت نسبة الاغتيالات فى تلك الفترة ، اذا ما قيس عدد الاغتيالات بسكان القطر ، خمسين مرة للنسبة ذاتها فى المملكة المتحدة .

ولم يكن المصريون على بينة من مدى تأثير هيئة الامم المتحدة وحيادها ؛ ولهذا غابت عنهم الحقائق المتعلقة بالدفاع عن الشرق الاوسط ؛ فظلوا على

اعتقادهم بان الهدف من الاحتفاظ بالجيش البريطانية فى منطقة القنال ، هو الضغط على حكومة مصر ، والتدخل فى شؤونها الداخلية . كذلك ظهر للطرفين ان مسألة السودان لا يمكن حلها عن طريق المفاوضات والاتفاقات ، لانها تتعلق بثبيت حقوق طرفين غير متفقين . فقد كان المصريون يطالبون « بوحدة وادى النيل » ، لان اعباء الحملة التى وجهت لاعادة احتلال السودان ، سواء فى المال والرجال ، كانت تقع على كاهل المصريين ، بينما كان البريطانيون يدعون بان التنظيم الادارى والمالى والعسكرى الذى حظيت به مصر ، يعود الفضل فيه الى البريطانيين أنفسهم ؛ ولولا ذلك التنظيم لما تسرت اعادة احتلال السودان . يضاف الى ذلك ان الجيوش البريطانية التى اشتركت فى الحملة المصرية هى التى تلقت المسؤولية الكبرى من الحملة ؛ وان التقدم الذى حاز عليه السودان خلال نصف قرن ، كان بفضل الادارة البريطانية . وكان من الاجدر الاخذ بتلك الاعتبارات الا ان المصريين تفاوضوا عنها . ويمكن تلخيص معضلة السودان بانها انماء الحكم الذاتى فى هذا القطر انماء يسمح للسودانيين بتقرير ما اذا كانوا يرغبون باقامة دولة مستقلة ، ام ان يؤلفوا اتحادا أو أثلافا مع مصر .

ومما زاد فى تعقيد مشكلة السودان ان القسم الجنوبى منه تستوطنه قبائل بدائية تختلف كل الاختلاف عن سكان الشمال . فهؤلاء مسلمون من أصل عربى وليس من تقارب بينهم وبين أهل الجنوب فى اللغة والمعتقد . ومن عوامل تعقيد المشكلة اصرار المصريين وعنادهم وتغافلهم عن تطور السودان سياسيا ، ووعى أهله وعيا قوميا . فان التعديلات التى اقترح المصريون ادخالها على الدستور السودانى ، كانت لا تنسجم مع الموقف الذى وقفه الحكومة البريطانية ، وهذا ما أدى الى تنفيذ الدستور فى البلاد بمعاونة

البريطانيين دون المصريين • وقد قاطع الانتخابات أحد احزاب الشمال الذى كان يطالب بالاتحاد مع مصر ، ومع ذلك فقد أخذت الانتخابات مجراها الطبيعى ، فجاء المجلس المنتخب دليلا على شعور السودانيين نحو بلادهم ومسؤولياتهم نحو أنفسهم • ومما لا ريب ان بحث العضلة من ناحيتها الاقتصادية سيلقى ضوءا على العضلة • لقد أدرك المصريون ان السيطرة على السودان لا تعنى السيطرة على النيل ، لان السيطرة على هذا النهر العظيم ، تتوقف الى حد كبير على الحبشة وعلى يوغندا ، وسبق للحكومة المصرية ان وافقت على قيام الحكومة البريطانية بمشروع للرى عظيم على النيل فى يوغندا وفى أعالي السودان • ومع ان اكمال هذا المشروع يتطلب مدة تقرب من ربع قرن الى ان المنافع التى سيجنها ابناء مصر والحكومة المصرية ستكون جد كبيرة •

- ١٥ -

وبحسب أحكام معاهدة ١٩٣٠ كان العراق حليفا لبريطانيا • وسيبقى حليفا لها ما دامت المعاهدة المذكورة نافذة المفعول مدة خمس وعشرين عاما من تاريخ دخوله عصبة الامم فى عام ١٩٣٢ • ومع ذلك فان العراق ، شأن مصر ، حاول ان يجعل من الحرب وسيلة تمكنه من الحصول على بعض الامتيازات من الحكومة البريطانية • ومع ان العراق تناسى حركة رشيد على فى سنة ١٩٤١ ، تلك الحركة التى لو قدر لها النجاح لصارت سببا لاطالة الحرب وللاضرار بمصالح الحلفاء ، فان محاولته الحصول على بعض الامتيازات كانت من الامور الطبيعية ، وتلبية لرغبة العراق أجرت الحكومة البريطانية مفاوضات لتعديل معاهدة سنة ١٩٣٠ ، تكللت بالتوقيع على معاهدة

بورتسموث فى شهر كانون الثانى لسنة ١٩٤٨ ؛ تلك المعاهدة التى نصت على وجوب السعى من اجل ايجاد سلام وصداقة متبادلة بين الدولتين ، وان التحالف بينهما يجب ان يستمر • وأهم ما ورد فى هذه المعاهدة المادة المتعلقة بالقواعد الجوية • فقد اتفق الطرفان على ان القواعد الجوية « من العناصر الاساسية للدفاع عن العراق نفسه ، وعن السلامة الدولية • كما انها حلقة فى المواصلات الرئيسية لكلى الفريقين » • وبحسب هذه المادة منحت المعاهدة القوة الجوية الملكية البريطانية حق اشغال القاعدتين العراقيتين الرئيسيتين « حتى يحين الوقت الذى يتم فيه تنفيذ معاهدات الصلح مع جميع دول الاعداء » • ومع ان الحكومة العراقية المخولة بالتوقيع على هذه المعاهدة كانت تستند على أكثرية فى البرلمان العراقى ، فانها لم تكن تمثل الشعب التمثيل الحقيقى ، لفقدان النظام الحزبى المستند على مبادئ مقررّة ومعلن عنها • وأكثر من ذلك ، كانت تسود البلاد موجة من التذمر ناجمة عن سوء ادارة مشروع الخبز ، فاستغلت المعارضة هذا التذمر ووجهت ما كانت تنظمه من مظاهرات نحو المعاهدة الجديدة • وبعد ان استفحل الامر ، استقالت الوزارة ، ووعد الوصى على عرش البلاد الشعب بان معاهدة سنة ١٩٣٠ لن تعدل •

- ١٦ -

بعد استسلام الالمان ، حول الصهيونيون اهتمامهم نحو يهود أوروبا الذين نجو من مذبحه هتلر • فان الفئة التى استطاعت البقاء فقدت جميع ما تملك ، واصبحت فى درجة بالغة من العوز والفاقة • حتى ان الكثيرين من يهود أوروبا اصبوا بأمراض عصبية وجسمية نتيجة ما لاقوه من أهوال • وكان الصهيونيون يطالبون بفتح أبواب فلسطين على مصاريعها لاولئك اليهود •

ولم يكن متوقعا من أناس نكبوا بأموالهم وفقدوا أقاربهم وأصحابهم في المعتقلات النازية ، ان يتصرفوا تصرفا هادئا مترنا بالنسبة لقضية الهجرة الى فلسطين . وقد لاقت العناصر اليهودية المتطرفة تأييدا من جهات متعددة . فان كلا المرشحين لانتخابات رئاسة الولايات المتحدة الاميركية في عام ١٩٤٤ ، ايدا المشروع المعروف « بمنهج بلمور »^(١) ، كما ان الرئيس ترومان وجه طلبا الى الحكومة البريطانية للسماح بهجرة مائة الف يهودى من أوروبا الى فلسطين . كذلك ان انتصار حزب العمال في انتخابات عام ١٩٤٥ ، زاد في نشاط الصهيونيين زيادة كبيرة ، سيما وان حزب العمال يعطف عطفًا شديدا على الوطن القومى اليهودى ، وأكثر من ذلك ان اليهود اعتبروا الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ « غير قانونى » ، لانه لم يقترن بمصادقة لجنة الانتداب في عصبة الامم ، وافترضوا ان الحكومة البريطانية استخدمته كتدبير حربى مؤقت لاستمالة العرب ، وسوف تنكر له حالما تنتهى حاجتها لتأييد العرب لها في الحرب . فلما أدركوا ان الحكومة البريطانية لا زالت تتمسك بالتزاماتها التى فرضها عليها صك الانتداب ، وانها لا تسمح بالهجرة المطلقة الى فلسطين ، وجهت المنظمات الصهيونية فى أوروبا واميركا فيضا من الهجرة غير المشروعة نحو فلسطين . وبالوقت ذاته بدأ الارهابيون بتخريب الجسور وخطوط السكك الحديدية وغيرها من المؤسسات العامة؛ وانتهت حركتهم بتأليف عصابات منظمة تقوم بأعمال ارهابية . وكان موقف الوكالة اليهودية متباينا بالنسبة الى هذه الاعمال . وكما يتضح من الوثائق التى حصلت عليها السلطات البريطانية ، ان الوكالة اليهودية بلندن كانت على اتصال وثيق بالاعمال الارهابية التى قام بها الصهيونيون عام ١٩٤٥ . فكانت تعليمات الوكالة

للارهابيين ان يتحاشوا من « الاصطدام العام » والاقتصار على « الفعاليات المنفردة » • وفى بعض الظروف كانت الوكالة تحاول التعاون مع السلطات الادارية ، مظهرة استنكارها للاعمال الارهابية ، ومع ذلك فانها كانت تبدى عجزها عن ايقاف تلك الاعمال ، لكونها لا تقرر السياسة البريطانية •

ومن الغريب ان العرب واليهود كانوا متفقين على فكرة واحدة تلخص بان القضية الفلسطينية بسيطة سهلة الحل ، فكان العرب يدعون ان كل ما يطالبون به ايقاف الهجرة اليهودية ومنح سكان البلاد بوضعهم الراهن حكما ذاتيا • بينما كان اليهود لا يرضون من الحكومة البريطانية بغير اطلاق الهجرة اليهودية من غير تحديد ، والوقوف بوجه العرب ورد مطالبهم • ولا ريب ان العرض المتقدم فى الفصول السابقة عن الجهود المتوالية التى كانت الحكومة البريطانية تبذلها من أجل ايجاد تسوية للقضية الفلسطينية تظهر ان المعضلة لم تكن من البساطة التى كان الطرفان يتصورانها • وان فشل المحاولات التى بذلتها بريطانيا وغيرها من الدول بعد الحرب العالمية الثانية ، زاد فى مصاعب ايجاد حل للمعضلة • وقد سبق تلك المحاولات ان اتدبت سبع لجان بريطانية ، وقدمت ثمانية تقارير تبحث عما يجب ان يتبع من سياسة بصدد تلك المعضلة المعقدة • وجاءت تلك المحاولات مثبتة انه ليس من اليسير ايجاد حل يرضى عنه الطرفان ، وانه ليس ثمة دولة أو طائفة من الدول ، باستثناء روسيا والدول الخاضعة لها ، كانت مستعدة لفرض حل على العرب واليهود •

وقامت لجنة بريطانية اميركية بمحاولة جديدة ، كان يؤمل منها ، بما ضمته من شخصيات عالمية ان تتوفق لايجاد حل للمعضلة • ولكن مما يؤسف له ان تقريرها الذى نشر فى مايس من عام ١٩٤٦ جاء مخيبا للآمال • فان

اللجنة بعد ان وضعت مبدأ عاما للقضية ، يتلخص بان فلسطين يجب الا تكون دولة عربية أو دولة يهودية ، أوصت بتوصيات حاولت فيها تلبية طلبات كلا الفريقين • ووجهت سلطة الانتداب الى ما نص عليه صك الانتداب ، تلك النصوص التي أصبحت غير قابلة للتطبيق ، منذ نيف وعشر سنوات • فمن التوصيات المتناقضة التي اوصت بها اللجنة تسهيل الهجرة اليهودية وجعل الظروف ملائمة لتحقيق ذلك الهدف بحيث لا تحول دون تأمين حقوق السكان الاخرين ومكانتهم • كما انها أوصت بادخال مائة الف يهودى الى فلسطين خلال عام ١٩٤٦ ، وتركت لبريطانيا سلطة تنفيذ تلك السياسة • وقبل ان يتم بحث هذا التقرير بجملته ، أيد رئيس الولايات المتحدة الاميركية بشدة اقتراح اللجنة بشأن ادخال مائة الف يهودى حالا الى فلسطين • اما الحكومة البريطانية فقد أعلنت عن رغبتها لمعرفة مدى استعداد الولايات المتحدة للمساهمة بما يجب تحمله من مسؤوليات عسكرية ومالية يتطلبها تنفيذ توصيات اللجنة الانكليزية الاميركية • وتحقيقا لذلك عقد الخبراء البريطانيون اجتماعا مع لجنة وزارية اميركية أوفدت الى لندن للغرض ذاته ، وانتهت تلك المشاورات بوضع أسس مشروع حكومة اتحادية فى فلسطين مؤلفة من قسمين مستقلين ، قسم عربى وآخر يهودى • ولم يرض العرب أو اليهود عن « مقترحات مورسن » المبثناة على المشروع المذكور • وموقف العرب واليهود هذا جعل الحكومة البريطانية أن تقرر فى شباط من عام ١٩٤٧ عرض القضية الفلسطينية على منظمة هيئة الامم باعتبارها وريثة عصبة الامم •

ولم تزل هيئة الامم نجاحا أكثر مما أصابته بريطانيا فى محاولاتها منفردة أو مشتركة مع الولايات المتحدة • فقد قررت لجنتها الخاصة التى الفت لغرض البحث عن حل مرض قرارا اجماعيا فى آب من عام ١٩٤٧ بموجب

انهاء الانتداب في أول فرصة ممكنة ، على ان يحافظ على الوحدة الاقتصادية لفلسطين . وعندما عرض قرار اللجنة على الهيئة العامة ، جذبت أكثرية الاعضاء مشروع التقسيم بينما ذهبت الاقلية الى ايجاد دولة فدرالية . وعلى أثر ذلك القرار أعلنت الحكومة البريطانية انها لا تستطيع فرض سياسة لا يقرها العرب واليهود على السواء . وما دام ايجاد حل مرض من الامور المتعذرة فانها مضطرة الى ان تتخذ الخطوات اللازمة لسحب الجيوش البريطانية من فلسطين ، ووضع نهاية للادارة البريطانية فيها في أول فرصة ممكنة . وقد حدد موعد الانسحاب من فلسطين في اليوم الخامس عشر من شهر مايس عام ١٩٤٨ . وفي تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ أقر مجلس هيئة الامم مشروع التقسيم وفي شهر مارت من عام ١٩٤٨ اعترفت الولايات المتحدة بان التقسيم لا يمكن تحقيقه بطرق سلمية ، ولذلك فانها أوصت بوضع فلسطين تحت وصاية هيئة الامم لفترة مؤقتة . ولكن ما ان انسحبت القوات البريطانية والموظفون في شهر مايس من عام ١٩٤٨ حتى أعلن تكوين دولة اسرائيل اليهودية ، وسارعت حكومتا الولايات المتحدة وروسيا الى الاعتراف بها . بينما ترددت الحكومة البريطانية بادىء الامر في الاعتراف بها ، لانها لم تكن واثقة من قوة اسرائيل على البقاء ومن مكائتها الدولية ، ولهذا اكتفت بالاعتراف بها كأمر واقع في شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٩ عندما شارفت الحرب بين العرب واليهود على نهايتها .

وانتهت الحرب التي أثارها اعلان دولة اسرائيل ، بصالح الجهة التي كانت تتمتع بتفوق بوحدة الهدف ، وبالمقدرة على التنظيم وبالمهارة العسكرية . يضاف الى ذلك ان اليهود استقبلوا من أجل تحقيق قضيتهم . اما معرفة المسؤول عن « الخطأ » الذي أدى الى اثاره الممارك في فلسطين فأمر يحدده

مدى الرجوع الى المراحل التاريخية للقضية الفلسطينية • وليس من مجال في هذا البحث لاستعراض الحوادث التي وقعت في الايام الاخيرة للانتداب أو الايام الاولى من حياة دولة اسرائيل • كما انه ليس من السهل علينا ونحن في أواسط عام ١٩٥٠ ان نتوصل الى نتائج مقنعة عن مسبب تلك الاحداث • ويكفى ان نورد هنا ان اسرائيل بدأت أولى أعمالها بالتعبير عن شكرها للولايات المتحدة ولروسيا ، وبابداء رغبتها في ايجاد علاقات دولية مع الدولتين • ولم تتقدم لبريطانيا بشيء ، وسكوتها هذا ينم عن عداوة دفين نحو بريطانيا • ومع ذلك فليس من اليسير اصدار حكم عادل اليوم عن وجهات نظر كل من هذه الدول • على انه مما يجب الا يغفل ان اليهود كانوا ضحية دعاياتهم • فانهم عندما وجدوا أنفسهم بين الارهاب النازي ، واصرار بريطانيا على تفسير صك الانتداب تفسيراً لا ينسجم ونواياهم ، قاموا بحملة دعاية واسعة ضد بريطانيا في العالم كله وفي الولايات المتحدة الاميركية على وجه التخصيص • تلك الدعاية التي جعلت البعض من يهود بريطانيا يتسائلون هل كان ثمة فائدة من شنق شترايخر - سفاح اليهود - ما دامت بعض سمومته انتقلت الى أقلام ضحاياها ! •

ولم يكن من الصعب على الصهيونيين ان يثروا الكراهية نحو بريطانيا ولا سيما في الولايات المتحدة • فقد انطلقت دعاياتهم على الكثيرين حتى شملت من بيدهم مقاليد الامور • وأحسن مثال على ذلك ان الرئيس روزفلت ابدى في عام ١٩٣٩ ان من أسباب معارضته للكتاب الابيض البريطاني « تفوق هجرة العرب الى فلسطين منذ ١٩٢١ بعددها على الهجرة اليهودية خلال تلك الفترة » ، فاذا ما وقع رئيس الولايات المتحدة بمثل هذا الخطأ الفاحش ، وتأثر بمزاعم بعيدة عن الحقيقة ، فهل نتوقع من الرجل العادي أن تكون

له وجهة نظر صائبة ، ومحايدة بقضية جد معقدة كالقضية الفلسطينية ؟
ولا نسى كانت الظروف موالية لان يظهر الصهيونيين اليهود بمظهر الضحية
للتآمر الانكليزي العربي . بخلاف ما كان يدعيه العرب الذين كانوا
لا يجدون من يستمع الى شكواهم أو من يفهم قضيتهم ، وفي ظروف كانت
اليهودية العالمية تفرض تأثيرها البالغ من أجل كسب عطف الرأي العام
العالمي .

وما هي المصاعب التي جعلت من القضية الفلسطينية عقدة لا تحل الا
بقوة السلاح ؟ فمن أولى المصاعب ادعاء كل من العرب واليهود بأحقية قضيتهم .
فاذا ما استثنينا مدعى الصهيونيين بشأن ما يسمونه بحقوقهم التاريخية ، فانهم
كانوا يدعون بان بريطانيا أعلنت وعد بلفور لتضمن مساعدة اليهودية العالمية
خلال سنوات الحرب العالمية الاولى . وان اليهود مقابل ذلك قدموا لها
المساعدات المطلوبة منهم . ومع ان وعد بلفور ضمن بصك الانتداب فان فرض
الانتداب البريطاني على فلسطين لم يكن بصلاح الصهيونية . اما العرب فكانوا
يدعون بانه لم يكن لبريطانيا الحق في تقديم أية وعود بشأن فلسطين الى
اليهود في عام ١٩١٧ ، ما دامت فلسطين جزءا من المنطقة التي سبق لبريطانيا
في عام ١٩١٦ ان وعدت باستقلالها .

وأى الفريقين كان على صواب في مدعاه ؟ ان الكاتب بالنظر للاسباب
المتقدمة الذكر يعتقد بان المنطقة التي وعدت بريطانيا العرب باستقلالها لم تكن
تشمل فلسطين . الا ان الكثيرين من الساسة الانكليز يرفضون هذا الرأي
ويؤيدون العرب في مطالبهم . اما مدعى اليهود بشأن المساعدات التي يزعمون
تقديمها خلال الحرب ودرجة أهمية تلك المساعدات فأمر فيه نظر . فاذا
صح قيام اليهود بتقديم مساعدات كبيرة الاهمية لبريطانيا ، كما يعتقد البعض

من السياسة الانكليز ، فان مدعاهم يصح ان يكون سلاحا ذا حدين • فاذا ما كانت المنشورات التى تضمنت وعد بلفور ، والتى أُلقيت من الجو على الاقسام المزدحمة باليهود فى المانيا والنمسا ، ذات تأثير فى اليهود ووجهتهم توجيهها فى صالح الحلفاء ، الا يعنى ذلك ان وعد بلفور كان عاملا من عوامل اثارة الكراهية والبغضاء نحو اليهود فى المانيا ، تلك الكراهية التى بلغت ذروتها فى عهد الحكم النازى ؟ اما الزعم القائل بان فلسطين يجب ان تسلم الى بريطانيا حتى وان لم يكن ثمة مشروع صهيونى فأمر مشكوك فيه • كذلك ان الرأى القائل بان بريطانيا استفادت فائدة مادية من انتدابها على فلسطين فأمر غير صحيح ؟ حتى وان حاولت بريطانيا استغلال فلسطين لمصالحها المادية • ذلكم لان نظام الانتداب ، والاتفاق بين بريطانيا والولايات المتحدة بشأن الانتداب على فلسطين ، كانا يحولان دون ذلك ، واذا قيل ان فلسطين استخدمت قاعدة حربية ، فان ذلك كان لصالح الحلفاء العام •

وثمة صعوبة أخرى كبيرة الاهمية ، هى الغموض الوارد فى نص وعد بلفور • فما هو المدلول للعبارة التالية : « اقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين » • أتعنى ان عددا كبيرا من اليهود يجب ان يدخلوا الى فلسطين بحيث يصبح اليهود فيها أكثرية ؟ أم تعنى غير ذلك ؟ فاذا ما ذهبنا الى ما ذهب اليه المستر لويد جورج بأن وعد بلفور يستهدف ذلك الهدف ، فان الشك يحوم حول ذلك المذهب ، بدليل ان حكومة المستر لويد جورج رفضت ان تصيغ وعد بلفور صياغة يفهم منها تأمين مصالح اليهود وحدهم • وعلاوة على ذلك فان صك الانتداب فرض على بريطانيا تحقيق أمرين اولهما ان على بريطانيا ان تسمى المؤسسات ذات الحكم الذاتى فى فلسطين ، وثانيهما انها ملزمة ، فى الوقت الذى تسهل السبيل للهجرة اليهودية ، الا تغمط حقوق الطوائف

الآخري من السكان والا تضعف مكانتهم • ولنا ان نتسائل هل فى الامكان تحويل أقلية يهودية الى أكثرية دون ان تغطى حقوق الطوائف الآخري من السكان وان تضعف مكانتهم ؟ وكيف يمكن أمر المحافظة على حقوق الطوائف الآخري واليهود يعلنون بانهم لن يرضوا ان يكونوا أقلية فى فلسطين ، البلد الذى يعتبرونه « بلدهم » لارتباطهم التاريخى به ، ويزعمون ان ليس للعرب ان يفضبوا ان اصبحوا أقلية فيه ، لانهم ينالون دائما تأييد الاقطار العربية المجاورة لفلسطين •

واذا ما كان مقرا للعرب ان يصيروا أقلية بالنسبة الى اليهود ، افلم يكن من الواجب اشعارهم بذلك القرار منذ البداية ؟ فالكتاب الابيض لعام ١٩٢٢ لم يتطرق لهذه الناحية ، ولم يفسر وعد بلفور ذلك التفسير الا بعد صدور الكتاب الابيض بعشرة اعوام • وهذا ما يؤيده التباين فى سياسة الحكومة البريطانية أزاء فلسطين عند صدور الكتاب الابيض ، وسياستها فى عام ١٩٣٠ • وكان البريطانيون يدون حذرا متزايدا كلما اقترب اليهود من نقطة التحول التى تجعلهم يصبحون أكثرية بالنسبة الى عرب فلسطين • وفى السنوات الاولى من عهد الانتداب ، وقبل ان يتولى هتلر حكم المانيا ، كان مجال الهجرة الى فلسطين واسعا دون ثمة خوف من طغيان عدد اليهود على عدد العرب من سكان البلاد • لكن الامر اختلف اختلافا كبيرا بعد ذلك بعشر سنوات • فقد أخذ خطر الهجرة يتفاقم ، حتى بلغ أمرها مرحلة دقيقة تدعو الى صدور قرار سريع • فقد أعلنت اللجنة الملكية فى سنة ١٩٣٦ ان صك الانتداب أصبح غير قابل للتنفيذ ، لانه يتعذر اتباع سياسة تحقيق الوطن القومى اليهودى ، وفى الوقت ذاته يمكن انماء المؤسسات ذات الحكم الذاتى • اما مشروع التقسيم وان لاقى تأييدا كبيرا ، فقد تحطم على الصخرة التى تحطم عليها

مشروع اللجنة الخاصة لهيئة الأمم المتحدة ، أى تعذر تنفيذه الا باستعمال القوة •

وهناك مشاكل أخرى كانت الحكومة البريطانية مضطرة لمجابهتها •
أهمها وجود عناصر متطرفة فى المنظمة الصهيونية وفى الوكالة اليهودية تسعى بكل ما أوتيت من قوة ، وبأى ثمن كان ، لان تجعل من فلسطين دولة يهودية •
ومما لا شك فيه ان تلك العناصر ، ساعدت كثيرا للقضاء على الوعود التى كانت المنظمة الصهيونية تقدمها للسلطات البريطانية فى فلسطين لتنفيذ السياسة التى اختطها الكتاب الابيض لعام ١٩٢٢ ، بتشجيعها - أى العناصر المتطرفة - بصورة فعالة علنية أم مستترة الهجرة اليهودية غير المشروعة • والمشكلة الأخرى ان الولايات المتحدة وعصبة الأمم كانت تضغطان ضغطا شديدا من أجل تحقيق الاهداف اليهودية دون ان تتحملا مسؤولية النتائج الناجمة عن ذلك الضغط • فمثلا ان عطف حكومة الولايات المتحدة على القضية الصهيونية جعلها تقرر اعفاء مدخولات المنظمات الصهيونية الخيرية والجمعيات اليهودية من ضريبة الدخل ، مع علمها بان تلك المنظمات والجمعيات كانت تجمع التبرعات من سكان الولايات المتحدة لتنفقها على أعمال الارهاب ضد السلطات البريطانية فى فلسطين • ومع ذلك فانها كانت ترفض استعمالها القوة لغرض السياسة التى كانت ترتضيها • وقد دامت سياسة الولايات المتحدة هذه مدة الانتداب • ومما يجب الا يغفل ان الامر تعقد كل التعقيد فى آخر ايام الانتداب عندما رفضت بريطانيا بدورها استعمال القوة لغرض التقسيم بينما كانت روسيا مستعدة لذلك ، والعامل الرئيسى الذى جعل هيئة الأمم ترفض استعمال روسيا القوة لغرض تحقيق التقسيم تخوفها من ان يكون مصير فلسطين اشبه بمصير ازربيجان •

ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان المشاكل التي كانت تلازم القضية الفلسطينية ستبدو للعيان بوضوح وجلاء في السنوات القادمة • وعندئذ سيكون الحكم على تصرفات الحكومة البريطانية والسلطات البريطانية في فلسطين ، أقل قساوة مما هو عليه الان ، ولا سيما الحكم الصادر من الصهيونيين ومن مؤيديهم • وسوف ينال الموظفون البريطانيون بعض التقدير لما قاموا به من أعمال ، مع ما كانوا يلاقونه من مصاعب ناجمة عن جهلهم حقيقة السياسة التي يجب أن يتبعونها ومن نقد شديد كان الصهيونيون يوجهونه للسياسة البريطانية ، وأخيرا من خطر نشوب حركات ثورية في بعض الاقطار العربية أو ان يقوم اليهود بتلك الحركات • ومن المؤسف حقا ان اليهود كانوا ينشرون دعايات واسعة عما يلقونه من تعنت من قبل السلطات البريطانية في فلسطين ، وكانت تلك الدعايات تنطلي على الكثيرين من سكان مختلف أقطار العالم بينما كان العالم لا يعرف عن الخدمات الجلى التي قامت بها السلطات البريطانية في فلسطين كقضاءها على الملاريا ، وقيامها بما خفض نسبة الوفيات الى حد كبير ، واقامت مشاريع اسالة مياه الشرب الصالحة ، واصلاحها الاساليب الزراعية ، وزراعتها للغابات ، ونشرها التعليم بين العرب من السكان ، وتشجيعها الصناعات الخفيفة خلال سنوات الحرب ، تلك الصناعات التي استفادت ولا زالت تستفيد منها اسرائيل كل الفائدة • هذا وان باحث المستقبل سيكتشف بدهشة بالغة الفرق الكبير بين ما أظهرته لجنة الانتداب من صرامة نحو سلطة الانتداب وما أظهرته هيئة الامم من استكانة وتخاذل بعد عشر سنوات ، عندما طلب اليها أخذ المسؤولية على عاتقها • كما سيتضح له الفرق الكبير بين ما كان يظهره الصهيونيون من احترام نحو عصبة الامم ومن عدم اكرثات لقرارات هيئة الامم •

ان العلاقات المتبادلة بين الدول العربية التى لم ترأع فى عام ١٩٤١ ، أصبحت حقيقة واقعة فى عام ١٩٤٥ ، وان كانت فى الاسم على الأقل . وفى عام ١٩٤٥ وضعت الاسس لايجاد الجامعة العربية ، وفى هذا العام وقعت مصر والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ميثاقها . ولما كان عرب فلسطين غير مستقلين فلم يكن لفلسطين مجال الانضمام الى الجامعة باعتبارها غير مستقلة ، واكتفى بتعيين مراقب عن فلسطين فى مجلس الجامعة . وقد رحبت الحكومة البريطانية بتأليف الجامعة وعينت موظفا من كبار موظفيها ليكون حلقة ارتباط بينها وبين الجامعة . وهكذا تم تحقيق فكرة الامير فيصل بتأليف الجامعة العربية بعد ان مر ربع قرن على الطلب الذى قدمه الى مؤتمر السلام المنعقد فى باريس ، والذى يتضمن ازالة الحدود الداخلية بين الاقطار العربية ، واعتبارها دولة واحدة ذات خطوط مواصلات مشتركة ونظام تعليمى موحد . على ان الجامعة العربية صرفت جل عنايتها للقضايا السياسية وخاصة منها قضية فلسطين ، دون ان تعنى العناية اللازمة بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية المشتركة بين الاقطار العربية . فلما انتهت القضية الفلسطينية النهاية المعروفة لم يبق للجامعة العربية ما تبذل عنايتها من أجل تحقيقه .

وحددت العلاقات مع شرق الاردن سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات بدأت منذ عام ١٩٣٨ ، وفى عام ١٩٤٨ عقدت المعاهدة الاردنية البريطانية ، وقد نصت هذه على أمرين وجود اتفاق عسكرى بين بريطانيا وشرق الاردن ، وتقديم مساعدات مالية بريطانية لاجل انماء البلاد اقتصاديا واجتماعيا . وفى

نيسان من عام ١٩٥٠ اضطرت بريطانيا الى الاعتراف باسرائيل اعترافا كاملا ، وبالوقت ذاته ارتضت أن يعتبر القسم العربى من فلسطين جزءا متما لشرق الاردن ، الدولة التى أوجدها الملك عبدالله • كما وافقت على ان تشمل المعاهدة البريطانية الاردنية الجزء الجديد الذى ضم الى شرق الاردن • وبعد ضم الجزء غير المحتل من فلسطين الى شرق الاردن سميت المملكة بالاردن بدلا من شرق الاردن • وبقيت قضيتان فى حاجة الى الحل السريع الوضع الراهن لمدينة القدس والحدود المشتركة بين اسرائيل وجيرانها • (فى الظروف الحاضرة تحددها خطوط الهدنة) • ولا يمكن ان تحل هاتان القضيتان الا باتفاقات متبادلة بين الدول المعنية بالامر •

وكمحاولة للتخفيف من وطئة تأزم الوضع بين اسرائيل والدول العربية ، أصدرت حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية فى مايس من عام ١٩٥٠ ، بيانا مشتركا اعترفت فيه بحاجة هذه الدول الى السلاح من أجل استتباب الامن الداخلى ، والدفاع عن سلامتها ، والمساهمة فى الدفاع عن سلامة الاقليم برمته • ولهذا فانها تعهدت باستعدادها ، على ضوء تلك الحقيقة ، للنظر بأى طلب للسلاح تتقدم به أية دولة من ذلك الاقليم ، على ان تتعهد الدولة الراغبة بالسلاح بالا تستخدم ما تحصل عليه منه للاعتداء على دولة أخرى • وانتهى البيان بالتصويه عن عزم الدول الثلاثة صاحبة البيان بانها ستتخذ الخطوات الفعالة لمنع أية محاولة تقوم بها احدى دول الاقليم يقصد منها تغيير حدود بلادها أو تغيير خط الهدنة بينها وبين القطر المجاور لها • ومما اتضح للحكومة البريطانية ، ان تدويل القدس حسب ما قرره الهيئة العامة للأمم المتحدة أمر يتعذر تطبيقه لان حكومة اسرائيل ، فى الوقت الذى أخذت تعد القسم المحتل من المدينة ليكون عاصمة لها طلبت ان يعهد أمر

حراسة الاماكن المقدسة الى لجنة تتدبها هيئة الامم على الا يكون لهذه اللجنة
صفة ادارية • وهذا ما يكشف عن نواياها •

- ١٥ -

وقد فشلت جميع المحاولات السياسية التى بذلت من أجل اتحاد الدول
العربية ، والتغلب على الخلافات الشخصية والعائلية بين ملوك وحكام هذه
الدول ، وتحقيق رغبات شعوبها فى الاتحاد ؛ تلك الرغبات التى بلغت حدها
الاقصى عند الجيل الجديد من ابنائها • ومع ان الاقطار العربية تدرك تمام
الادراك ان التعاون الاقتصادى هو خير تمهيد لتحقيق رغبة شعوبها ، فانها
لا تسعى لتحقيق ذلك التعاون • فسوريا ولبنان ضاعفا من القيود الاقتصادية
التى تباعد بين بلديهما ، مع وجود مصالح اقتصادية متبادلة بينهما ، وان انابيب
النفط التى توصل نفط العراق حتى شواطئ البحر المتوسط ونفط المملكة
العربية السعودية الى صيدا فى لبنان يجب ان توجد فى هذه الاقطار مصالح
متبادلة بين بعضها البعض • وبينها وبين بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية
من أجل سلامة أقطارهم وانماء مصادر أخرى للثروة فى الشرق الاوسط •

ان الشرق الاوسط بمختلف أقطاره ، فى حاجة ماسة الى المعاونة من
أجل انما موارد الثروة فيه • فأى من أقطار هذا الاقليم يحتاج الى المعاونة
لانماء ثروته وللرفع من مستوى معيشة سكانه ، يجب ان يلقاها من الاقطار
الآخرى • والحقيقة ان مشاكل أقطار الشرق الاوسط تلقى عناية كبيرة من
الهيئات والمؤسسات المنبثقة فى هيئة الامم • ويكفى ان تكون مشكلة اللاجئين
الفلسطينيين موضع دراسة وعناية من لدن لجنة اغانة اللاجئين التابعة الى
هيئة الامم والممثلة فيها بريطانيا والولايات المتحدة • وفى السنوات المتأخرة ،

- ٢١٦ -

أخذت الولايات المتحدة الأميركية تعنى عناية كبيرة بشؤون الشرق الاوسط .
ولهذا فانها أكثر من ارسال الخبراء الاميركان الى مختلف أقطاره ، وخير
ما يثبت ذلك عنايتها بانماء المشاريع الزراعية فى المملكة العربية السعودية ،
واهتمامها بمشروع السنوات السبع الذى يهدف الى انماء الاحوال الاقتصادية
فى ايران . كذلك ان الخدمات التى قام بها مركز تمويل الشرق الاوسط ،
خلال سنوات الحرب ، لا زالت مستمرة وان تبدل اسمه بالمكتب البريطانى
للشرق الاوسط . فان خبراء هذا المكتب تحت أمرة أية حكومة من حكومات
الشرق الاوسط ترغب فى الاستفادة من خبراتهم . والواقع ان هذا المكتب
ساهم فى خدمة الحكومة العراقية عندما رغبت فى وضع منهاج عام لمشاريع
الرى فى العراق . كذلك قام المكتب بتزويد حكومات الشرق بتقارير ضافية
عن كيفية اصلاح الغابات وانماء الموارد الحيوانية وطرق اجراء الاحصاءات
اللازمة لها وغير هذه من القضايا الهامة لبلادها . كما ان المكتب يتلقى بصورة
مستمرة طلبات كثيرة عما يجريه من دراسات تتعلق بأقطار الشرق الاوسط .
وقد أجرى المكتب مفاوضات مع حكومة اليمن فى عام ١٩٥٠ ، كان يؤمل
منها ، اضافة الى توطيد العلاقات السياسية بين بريطانيا واليمن تقديم المعاونة
الفنية التى يحتاجها اليمن .

ومن الامور الواضحة ان المكتب البريطانى فى الشرق الاوسط قدم
خدمات جلى حيثما كان النفوذ البريطانى كبيرا . ففي البحرين مثلا استطاع
شيخها القضاء على استغلال اصحاب السفن لغواصى اللؤلؤ من أثر اغراقهم
فى الديون ، نتيجة للجهود التى بذلتها بريطانيا عن طريق المكتب المذكور .
وبدأ باصلاح الاوضاع الراهنة فى البلاد التى تخضع الى الحكم البريطانى
المباشر ، فأخذ مستوى معيشة سكان هذه البلاد بالارتفاع ، اما عن طريق

استخدام مصادر الثروة فيها ، واما بمساعدة صندوق اصلاح المستعمرات
وانماء مواردها^(١) . ففي مستعمرة عدن أخذت حركة التعليم والخدمات
الاجتماعية تنتشر بسرعة حتى شملت محمية عدن ، بما فيها من أوضاع
مدنية . وذلك بفضل تمديد مدة الهدنة التي عقدت عام ١٩٣٦ ، والتوسع
المستمر في قوات الامن عند مختلف حكام تلك المحميات . فصار من أثر
ذلك ان ساد الامن والاستقرار البلاد بشكل لم يعرفه الناس من قبل ، وأخذت
حركة بيع الرقيق ، التي قضى عليها منذ عهد بعيد في مستعمرة عدن ،
تتضاءل وتختفي في المحمية نفسها ، الا ان العضلة الرئيسة التي لا زالت
قائمة ولم يستطع المكتب التغلب عليها هي كيفية جعل أرض مجدبة تدر
ما يكفي حاجات شعب متزايد ، لا يجد مخرجا لابنائهم ، كما كان يجد سابقا
في جاوا والحبشة وغيرهما من الاقطار التي كانت تتقبلهم . ولم يكتف في
قبرص بانماء نظام زراعي تعاوني ، وانما وضعت تصاميم من أجل وقاية ما زرع
من غابات من خطرين : وقايتها من قطاعان الغنز الباحثة عما تتغذى به ،
ووقايتها من الانسان في بحثه عن الوقود . ولقد ارسل عدد من حكومات
الشرق الاوسط خبراء يعنون بهذه المشاكل لدراسة تلك المشاريع التي لو
انتشرت في مختلف انحاء الاقليم لاثرت تأثيرا بالغا بأوضاعه الاقتصادية

إكثوبر من عام ١٩٥٢

- ١ -

لم تضم معاهدة حلف شمال الاطلسى أى جزء من أجزاء الشرق الأوسط مع ان المعاهدة أكدت تأكيداً مشدداً على أهمية هذا الاقليم ، تلك الأهمية التي أدركت حقيقتها بريطانيا منذ أكثر من قرن ونصف قرن ، بينما لم تثبت الولايات المتحدة الاميركية منها الا فى السنوات المتأخرة عندما أخذت بتقديم مساعداتها الى تركيا وايران ، وبعدما أصدرت بياناتها بشأن ضمان الحدود بين اسرائيل والاردن ، وفى مايس من عام ١٩٥٠ أكد وزير خارجية بريطانيا ما سبق ان صرح به منذ عام ، بعد ان وقع معاهدة حلف شمال الاطلسى ، بان الحكومة البريطانية تهتم كل الاهتمام بالمحافظة على سلامة كل من اليونان وتركيا وايران واستقلالها • وأضاف بان « الحكومة البريطانية عازمة على متابعة سياستها بشأن معاونة تلك الدول وغيرها من التي تكافح فى سبيل تدعيم كيائها الاقتصادى وتعزيز قواتها العسكرية ، ومن أجل المحافظة على استقلالها وسلامة بلادها » • كما صرح وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية عند توقيع المعاهدة نيابة عن حكومته تصريحاً مماثلاً •

وفى ايلول عام ١٩٥١ قرر مجلس حلف شمال الاطلسى دعوة كل من

تركيا واليونان للاشتراك فى معاهدة الحلف على ان يسبق ذلك موافقة الدول الاعضاء . وبعد هذا بقليل اشتركت الحكومة التركية مع حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى طلبهم الى مصر المساهمة فى تأليف منظمة للدفاع المشترك عن الشرق الاوسط . وسبق ان طلب مثل هذا الطلب الى كل من استراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقيا ، وكانت حكومات هذه الاقطار تهتم بالغ الاهتمام بأمر ايجاد مثل تلك المنظمة . على انه لم يطلب الى أقطار الشرق الاوسط الاخرى المساهمة فى المنظمة . ومرد ذلك ان هذه الاقطار قريبة من موقع الخطر وان خط الدفاع يجب ان يكون بعيدا عن ذلك . ومع هذا فان اقطار الشرق الاوسط أبدت حذرهما ولم تكشف عن حقيقة نواياها بشأن ما طلب ايجاده . اما مصر فقد رفضت المقترحات الخاصة بمنظمة الدفاع المشترك ، كما عرفت عن اجراء أية مباحثات من أجل تحقيق تلك الفكرة ، كذلك رفضت فى عام ١٩٥١ حضور مؤتمر نيروبي الخاص بشؤون الدفاع عن افريقيا ، وكان يؤمل من حكومة مصر بنزعها العسكرية الشديدة ، انها ستظهر رغبة شديدة للمساهمة فى مشاريع الدفاع التى يسعى الغرب لوضع تصاميمها .

وفى خلال العامين التاليين اضطرت بريطانيا الى ان تجابه مشكلتين كبيرتين
الاهمية الاولى علاقتها مع مصر والاخرى مصالحها فى ايران .

ففى أكتوبر من عام ١٩٥١ ، وبعد محادثات دامت نحو عام ، ألغت الحكومة المصرية معاهدة سنة ١٩٣٦ كما ألغت اتفاقية عام ١٨٩٩ بشأن السودان . فاطلق الملك فاروق على نفسه لقب ملك مصر والسودان ، وأصدرت الحكومة المصرية قانونا يمنح السودان نوعا من الحكم الذاتى ويخول الملك فاروق حق السيطرة على شؤون السودان الخارجية والعسكرية ، وحق التصديق

على ما يشرع فيه من قوانين • كما أوجب ضرب عملة السودان باسم ملك مصر • وأعقب ذلك ان رفضت الحكومة المصرية المقترحات التي قدمتها اليها الولايات المتحدة الاميركية بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا وتركيا ، والتي طلبت بها الى مصر ان تساهم في تأسيس منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط • وقامت حكومة الوفد بدعايات اعتدائية واسعة ، وبتحريض كتائب التحرير للاعتداء على الجيوش البريطانية وعلى المدنيين • وبلغت تحرشات تلك الكتائب ذروتها عندما قامت مظاهرات واسعة في القاهرة ، اعتدى فيها الوطنيون على كثيرين من الاجانب أغلبهم من البريطانيين ، واحداثوا أضرارا بالغة بالممتلكات وان لم يكن أكثرها بريطاني أو غير مصرى •

وتوقفت المحادثات بين الحكومة المصرية الجديدة والوفد السوداني الذي أرسله السيد عبدالرحمن المهدي لمفاوضة الحكومة المصرية بشأن مستقبل السودان ، أثر نشوء أزمة أدت الى تنازل الملك فاروق عن عرشه • وكان السودانيون غير مقتنعين بان جعل ملك مصر ملكا للسودان ذا مظهر اسمي ، كما انهم كانوا مستعدين لتقبل مشروع يقضى بتأليف لجنة ثلاثية يشترك فيها ممثلون من بريطانيا والسودان ومصر يعهد اليها أمر مراقبة عملية تقرير المصير في السودان ، وبالوقت ذاته كان المصريون يخشون ان يؤدي انفصال السودان عن مصر الى احتجاز الجزء الاكبر من مياه النيل ، وان ما سيتسرب من تلك المياه الى مصر لا يكفي لحاجات الشعب المصرى السريعة المتزايدة •

وكان اعداد السودان للحكم الذاتي الدستوري يجرى بسرعة ، استجابة للوعد الذي قطعه المستر ايدن في شهر تشرين الثاني عام ١٩٥١ بان السودان سيتمنح الحكم الذاتي قبل نهاية عام ١٩٥٢ ، ومما جاء في مسودة الدستور

المقدمة الى المجلس التشريعى السودانى فى نيسان من عام ١٩٥٢ ، ان جميع الوزراء مسؤولون أمام البرلمان وان تراعى بعض التحفظات خلال فترة الانتقال ريثما يتم للسودانيين ممارسة حق تقرير مصيرهم ، وان يؤلف مجلس تأسيسى يضم أعضاء مجلسى البرلمان عند مناقشة الدستور واقراره وتحديد مستقبل السودان •

- ٢ -

ولم تعدل اتفاقية عام ١٩٤٩ ، المعقودة بين شركة النفط الايرانية والحكومة الايرانية • بسبب اصرار الايرانيين على طلبهم حصة أكثر مما يستحقون ، ورفضهم مبدأ المناصفة بالارباح المبدأ المعمول به فى أقطار الشرق الاوسط الاخرى • فالإيرانيون لم يكتفوا بنصيبهم من ربح الشركة الخاص بنفط بلادهم بل طالبوا بمقاسمة الشركة فى جميع أرباحها حتى عما تستخرجه من نفط الكويت مثلاً • ومما يجب الا يغفل ان الشركة وافقت على منح ايران نصف ارباحها عن النفط الايرانى فى شباط من عام ١٩٥١ ، ولكن رئيس وزرائها ، الجنرال رازمارا ، لم يسمح بنشر ذلك ، ولم يكن الجمهور الايرانى على بينة من ذلك الامر عندما اغتيل رئيس الوزراء فى مارت من العام المذكور • ومما لا ريب فيه ان اغتيال رازمارا ، واطلاق النار على وزير المعارف عجل فى تصديق البرلمان على اقتراح قدمه الدكتور مصدق يقضى بتأميم صناعة النفط فى ايران •

ولم تعرض الحكومة البريطانية على مبدأ التأميم بشرط ان تراعى اتفاقية عام ١٩٣٣ عند تنفيذه • تلك الاتفاقية التى نصت على تعهد الحكومة الايرانية بعدم الغاء أو تعديل الاتفاقية الا بموافقة الطرفين المتفقين ، وانه فى

حالة حصول خلاف على نصوص الاتفاقية يرجع الى التحكيم • وهذا ما جعل الشركة تطالب بالرجوع الى التحكيم ، الا ان الحكومة الايرانية رفضت طلب الشركة وأصرت على ما ذهبت اليه • كما انها رفضت ثلاثة اقتراحات أخرى هي :
(١) الاقتراحات المقدمة من شركة النفط الايرانية في حزيران من عام ١٩٥١ والتي أيدها سفير الولايات المتحدة الاميركية وهو المعروف بشدة نقده للسياسة البريطانية • (٢) اقتراحات ستوك المقدمه في شهر آب سنة ١٩٥١ والتي اوصى بها المستر ايريل هاريمان • (٣) ومقترحات البنك الدولي للاعمار والانماء المقدمة في مارت سنة ١٩٥٢ •

وقد اضطرت الحكومة البريطانية الى ان ترفع القضية الى مجلس الامن ، وسبق لها ان رفعت القضية في أولى مراحلها الى محكمة العدل الدولية ، والتي أصدرت أمرها بوجوب المحافظة على الوضع الراهن • فقرر مجلس الامن ضرورة الانتظار ريثما تصدر محكمة العدل الدولية قرارها النهائي بشأن الخلاف • وفي تموز من عام ١٩٥٢ أعلنت المحكمة ان القضية المتنازع عليها ليست من اختصاصها ، ولهذا لا تستطيع ان تبدي رأيا قاطعاً بشأنها • الامر الذي اضطر الشركة الى ان تتقدم بطلب الى رئيس محكمة العدل الدولية طالبة منه ان يستعمل اختصاصه الذي منحه اياه اتفاقية عام ١٩٣٣ فيعين محكما ، ما دامت الحكومة الايرانية ترفض تعيين محكم يمثلها حسب نصوص تلك الاتفاقية •

والسبب في رفض ايران اتفاقية عام ١٩٤٩ ، اعتقادها بان الاخذ بمبدأ المناصفة بالارباح يضر مصالحها في السنوات الكثيرة الانتاج • ولو تم لها قبول ذلك المبدأ في شباط من عام ١٩٥١ لتيسر لها الحصول على خمسين مليون جنيه عوائد للنفط عن تلك السنة وحدها ، اضافة الى مبالغ كبيرة أخرى

ستتضرر الشركة الى دفعها عن مبالغ متأخر دفعها ، ورواتب المستخدمين وأجور العمال وضرائب حكومية • والحقيقة ان الخلاف على النفط لم يكن مشكلة مالية ؛ فالعامل الرئيسى لتلك المعضلة هو نفرة الشرفى من سيطرة الغرب التى دامت مدة طويلة • وقد تركزت تلك النفرة فى ايران على بريطانيا لعلاقتها الوثقى بصناعة النفط • يضاف الى ذلك ان تنظيم أعمال شركة النفط ، واقتصار ادارة تلك الاعمال على الاجانب وحدهم ، وتفسخ المؤسسات الايرانية بالنسبة الى مختلف مؤسسات الشركة ، اضعف كبرياء ايران وجعلها مسرحا لدعايات غير صحيحة أثرت بجمهرة الناس ، وجعلتهم يعتقدون بانه ليس عسيرا على الايرانيين ادارة تلك المنشآت • وربما كان ميل الحكومة الايرانية للوقوف موقف المحايد بين المعسكرين الغربى والشرقى كان من أهم تلك العوامل • فان قانون سنة ١٩٤٤ منع منح أى امتياز للنفط فى المستقبل ، وبذلك سد الطريق بوجه الروس ؛ فلماذا لا يتخذ الدكتور مصدق خطوات جريئة من أجل سد الطريق بوجه شركة النفط الايرانية ، دون الالتفات الى الحقوق المشروعة التى تتمتع بها هذه الشركة ، وقد فاز الدكتور مصدق فى أول أمره بتأييد ساحق من زملائه اصحاب الثروات الكبيرة الذين كانوا يتهربون من دفع ما يفرضه القانون عليهم من ضرائب ، وكذا الامر من اعضاء حزب تودا الذين اخفوا ميولهم الشيوعية وراء ما كانوا يشيعونه من دعايات عن استغلال الاجانب لخيرات البلاد ، ومن رجال الدين أمثال آية الله الكاشانى ، الذى اعتقل خلال سنوات الحرب العالمية الثانية لميوله المناهضة لقضية الحلفاء ، والذى هدد بالاغتيالات السياسية وشجع عليها ، وأخيرا من جمهرة الناس التى كانت تفهم بان ما تعانيه من مآسى ومصائب هو من نسج البريطانيين ، متناسين ان تلك المآسى هى وليدة تفسخ

الطبقة الحاكمة وسوء ادارتها لشؤون البلاد واهمالها مصالح الشعب .
اما طبقة السياسيين فقد كانت تزعم ان شركة النفط تسيء معاملة عمالها ،
وتدفع لهم أجورا تكاد تسد حاجتهم ، مع ان بعثة منظمة العمل الدولية التي
قامت بدراسة وضع عمال الشركة في سنة ١٩٥٠ ، اوضحت خلاف ذلك .
فكما انتهت اليه اللجنة المذكورة ان الاجور التي كانت تدفعها الشركة الى عمالها ،
وساعات عملهم ، والظروف التي تكتنف العمال اثناء قيامهم بواجباتهم كانت
في مستويات أعلى من تلك التي يحددها قانون العمال الايراني . ولا ريب
ان ما قامت به الشركة في حقول الصحة العامة ، والاسكان والخدمات
الطبية والتموين والفعاليات الاجتماعية ، وفي حقول غير هذه من الخدمات
العامة الاخرى لما يدهش الساسة الايرانيين اذا ما اجهدوا أنفسهم وحاولوا
الاطلاع عليها . وفي حقل التربية والتعليم فان المدارس التي أنشأتها الشركة ،
لا تقل مستوى عما تتمتع به أحسن المدارس الايرانية . كذلك ان الطريقة
التي اتبعتها الشركة من أجل تقنين مواد الطعام لجميع مستخدميها وعمالها
ولمن تتوقف معيشتهم عليها ، كانت من ادق واضبط ما اتبع من طرق خلال
الحرب العالمية الثانية . ولهذا فانها أظهرت للعيان فشل الحكومة الايرانية
في اتباع طريقة لتقنين المواد الضرورية لمعيشة الشعب ، مع كل ما بذله
الخبراء الاميركان من جهود لمساعدة الحكومة في قيامها بتوزيع بعض اللوازم
الرئيسية توزيعا عادلا بين الناس .

وما ان انتهى امد امتياز « البنك البريطاني في ايران والشرق
الاطلس » (١) ، حتى اضطر لغلق ابوابه وتوجيه فاعلياته نحو اقطار أخرى
من الشرق الاوسط ، حيث المجال واسع لممارسة أعماله .

(١) كان يسمى سابقا البنك الامبراطوري في ايران .

ولم ينته الامر عند هذا الحد ، فان موجة مناوئىى بريطانيا فى ايران دفعت الحكومة الايرانية الى طلب غلق القنصليات البريطانية فى المدن الايرانية ، بزعم ان أعضاء السلك القنصلى يتدخلون بالشؤون الداخلية الايرانية ، مع ان الحقيقة تدحض هذا الزعم ، وأخذت تتعالى أصوات المتصيدين بان البريطانيين أخذوا يحرضون القبائل على التمرد ، مع ان المعروف عن القبائل الايرانية انها لا تخضع لقانون ولها من مشاكلها ما يدفعها للتمرد على حكومتها ، ومما لا شك فيه انه لم يكن بصالح بريطانيا ان ترى الحكومة المركزية ضعيفة أزاء الحركات الداخلية .

وفى اكتوبر من عام ١٩٥٢ قامت بريطانيا بآخر محاولة لايجاد حل لمشكلة النفط عندما قدمت مذكرة الى الدكتور مصدق وقد اوصى كل من المستر ترومان والمستر شرشل الاخذ بها . وقد اعترفت تلك المذكرة بحق ايران بتأميم صناعة النفط بشرط ان تعرض قضية تعويض الشركة الى التحكيم باشراف محكمة العدل الدولية . وقد قبل الدكتور مصدق الاخذ بالتحكيم مشروطا ان يقتصر التحكيم على ممتلكات الشركة فى ايران ، ومع ذلك فانه وضع من القيود ما يجعل المحكمين يضطرون الى اصدار حكم مؤبد لوجهة نظر ايران . وبعد ان وجد الدكتور مصدق ان الحكومة البريطانية لا تقره على شروطه ، قام فى شهر اكتوبر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ، ظانا ان بريطانيا سترضخ الى ما اتخذه من اجراءات خشية نفوذ الشيوعية الى ايران .

ان ما يؤسف له الميل العدائى الذى أظهره الايرانيون نحو بريطانيا ، لا لانه يعكر صفو العلاقات البريطانية الايرانية ، وانما يشجع ذلك الميل

الاييرانيين لان يستسلموا الى ما كانوا يتصورونه سابقا ، بان كلما يصيبهم
من كوارث انما هو من صنع بريطانيا • واذا ما صح زعمهم بان المساوىء
نتيجة الاخطاء التى ترتكبها بريطانيا ، فلماذا لا يسعون الى التغلب على تلك
المساوىء ؟ •

الخاتمة

علاقة بريطانيا بالشرق الاوسط علاقة تاريخية وثيقة ، ومع ان علاقات ايطاليا وفرنسا التجارية ، ترجع الى ابعد من تاريخ بدء العلاقات البريطانية به ، فان هذا الجزء من العالم بالنسبة الى بريطانيا يعنى أكثر من تأمين مصالحها التجارية • فالشرق الاوسط قاعدة تدافع بريطانيا منها عن ممتلكاتها بالشرق وعن خطوط مواصلاتها • ولو رجعنا الى المؤلفات الانكليزية لوجدنا ان العديد منها تطرق الى تلك العلاقة • وربما كانت الدوافع لاكثر تلك المؤلفات دوافع سياسية وتجارية • ولكن بعضها جاء نتيجة حب الرجل البريطاني الى الاسفار والارتياح • فهذه الرغبة الملحة هي التي دفعت ايلارد وقلبي ، الى ارتياح الشرق الاوسط والى اخراج ما الفوه من كتب ، كما دفعت كنج ليك قبلهم الى قيامه في سنة ١٨٣٠ « برحلته العظيمة » الى الشرق واخراجه كتابه الرائع ايوثين^(١) •

والتفاوت كبير جدا بين تلك المؤلفات من حيث نوعيتها ومادتها ، كما ان الظروف التي دعت الى اخراجها متنوعة متعددة • فروبرت كرزن مثلا ، ارتاد الشرق في عام ١٨٣٠ ايضا ، والى رسالته المسماة « زيارات لاديرة الشرق »^(٢) ، نتيجة بحثه عن المخطوطات في تلك الاديرة • وان هنري ليارد الذي كان يقصد سيلان باحثا عن اسباب رزقه ، وجد في نفسه اثناء

Eothen by King Lake

(١)

Visits to Monastries in the Levant By Robert Curzon

(٢)

مروره في ايران رغبة ملحة للبقاء في الشرق الاوسط ، دفعته الى قيامه باكتشافات أثرية كبيرة الاهمية ، وبالتالي الى تأليفه عددا من المؤلفات القيمة .
وقام هنري راولنسون بحل رموز الخط المسماري اثناء ما كان مقيما بريطانيا في بغداد . والف أى . جى . براون وكان طالب طب تعلم الفارسية فأتقنها « عام بين سكان فارس » . وهذا يعد احسن ما كتب باللغة الانكليزية عن أى بلد اجنبى . وان ريشارد برتون كان جنديا وموظفا قصليا ، أغرم بالاسفار غراما دفعه الى المجازفة بحياته لزيارة مكة والمدينة ، دون ما لاقاه من احداث في مؤلف يعد اعظم ما سطر من كتب الاسفار . والقى جيمس مورير ، ومارمادوك بكنول ضوءا ساطعا على الشرق وأكسباه لونا بهيجا فيما كتبه عن « حاج بابا » و « سعيد السماك » . ولا ريب ان هاتين القصتين تعكسان صورة للشرق تعجز الكتب الاخرى عن عكسها .

وتعد المؤلفات التي كتبها رواد الاقطار العربية من الرحالة البريطانيين في مستوى عام أعلى من مستويات المؤلفات الاخرى . ومع ان ثمة رواد من غير البريطانيين - من سكان سويسرة والدنمارك وهولندا ومانيا والسويد وغيرهم سطوروا ما اضاف الى معارفنا عن بلاد العرب ، الا ان أهم ما نعرفه عن هذه البلاد هو من انتاج رواد بريطانيين . واذا ما كان « صحراء بلاد العرب »^(١) من تأليف دوتى يحتل مقاما في القمة بين المؤلفات عن الشرق ، فانه يعد واحدا من سلسلة طويلة من المؤلفات القيمة التي تناولت بلاد العرب ببخشا .

واذا ما قيل ان ثمة قوى تجتذب الانكليز نحو العرب ، ففي هذا القول الكثير من الصحة . فالموظف البريطاني في فلسطين اتهم بأنه ميال

الى الرياضة ويعوزها الذكاء ، وهذا ما جعله يندفع لمنصرة العرب دون اليهود مع ما
ما يتمتعون به من ذكاء . ومع ذلك فان تركيا اجتذبت عددا كبيرا من الانكليز ،
ولا نغنى بهم اولئك الذين جاءوا اليها لكي يستفيدوا من الامتيازات الاجنبية ،
وانما نغنى فئة التجار وغيرهم ممن استقر وعاش فيها حتى في أشد الايام
ضيقا ، امثال السر مارك سايكس واوبرى هربرت . وثمة عدد كبير آخر
من الموظفين والتجار ومستخدمى البنوك والتلغراف وشركات النفط من
البريطانيين ، وجد في ايران ما يشبع هوايته ورغبته . وآخرون امثال صون
وجدوا في الاكراد ضالتهم . فبنظرهم ان الاكراد أحسن شعوب الشرق
الايوسط خلقا .

ومن وراء مئات المؤلفات والمطبوعات التى نشرت عن الشرق الاوسط
هناك معلومات كبيرة جدا لم تجد للنشر سبيلا ، كالتقارير التجارية والرسائل
الخاصة . وربما وجدت بعض المعلومات القيمة فى تقارير الجمعيات التبشيرية ،
التي استفاد المسلمون من خدماتها التعليمية والطبية فائدة كبيرة . والبعض
الآخر من المعلومات مطمور بالتقارير الرسمية التي كتبها أناس اشتغلوا فى
مصر أو العراق أو فلسطين ، أو اولئك الذين كانت مهمتهم خفر سواحل
البحر الاحمر والخليج الفارسي ، والضرب على ايدي المهربين وتجار الرقيق
أو مراقبة شواهد الاضاءة واسلاك التلغراف . ومع ان الظروف تبدلت ،
فان الدوافع التي تدفع الناس الى اريساد اقطار الشرق الاوسط لا زالت
باقية .

وقد ظلت ايران والعراق والخليج الفارسي ومن ورائها تركيا طوال
قرن ونصف قرن قواعد للدفاع عن الهند ومراكز مراقبة للاشراف على
خطوط المواصلات المؤدية الى الهند . ومع ما طرأ من تحول سياسى فى

القارة الهندية فى السنوات المتأخرة ، فان النظرة القديمة بالنسبة لخطوط المواصلات لا زالت قائمة • وحتى فى حالة انفصال الهند وباكستان وسيلان عن رابطة الشعوب البريطانية فان سيطرة دولة أخرى على أقطار الشرق الاوسط يعد كارثة بالنسبة لبريطانيا وللعالم الحر • يضاف الى ذلك ان الشرق الاوسط وجد مصدرا غنيا لثروته فى منابع النفط فى ايران والعراق والمملكة العربية السعودية • وكما كتب أحد خبراء النفط فى عام ١٩٤٤ « ان مركز ثقل انتاج النفط العالمى أخذ يتحول من الخليج الكرىبى الى الشرق الاوسط ، وسيستمر بحركته حتى يستقر فى هذا الاقليم » • وان المتبع لشؤون النفط منذ سنة ١٩٤٤ يؤيد هذه النبوءة تأييدا كاملا • لقد كانت نسبة مداخر النفط العالمى فى سنة ١٩٤٣ كما يأتى :

الاقليم	النسبة المئوية
الشرق الاوسط	٤٨
اميركا الشمالية	٣١
أميركا الجنوبية وجزائر الهند الغربية	١٣
الاتحاد السوفياتى	٧
أقطار أخرى	١
المجموع	١٠٠

وتتضح أهمية هذه الارقام بالنسبة الى حياة رابطة الشعوب البريطانية من مقارنة جدول اصحاب امتيازات النفط فى الشرق الاوسط :

الامتياز	الامتياز
نفط جنوب ايران	بريطانى
نفط الكويت	نصفه بريطانى ونصفه اميركى

ربع بريطاني
ربع بريطاني وهولندي
ربع اميركي
ربع فرنسي بإدارة بريطانية

نفط العراق و نفط امارات الخليج

وهكذا فان أربعة من الدول الموقعة على معاهدة حلف شمال الاطلسي وأبرزها بريطانيا والولايات المتحدة ، تضع يدها على جميع امتيازات النفط في أقطار الشرق الاوسط .

ولا ريب ان قلة المدخرات النفطية الروسية هي التي دفعت روسيا الى استعمال العنف في مفاوضاتها خلال الفترة بين عام ١٩٤٤ - ١٩٤٧ بشأن النفط الايراني . وهي واثقة من انه في حالة اكتشاف النفط في شمال ايران ، فلن يكون المشروع مشروعاً اقتصادياً ما لم يصدر الى روسيا أو عن طريق روسيا . والسبب ذاته جعل الشركات البريطانية والأميركية تعزف عن البحث عن تلك المصادر . ولم تكثر الحكومة البريطانية بتلك المفاوضات باديء الامر ، ما دامت المفاوضات طبيعية لم يرافقها ضغط من أجل الحصول على الامتياز . على انها كانت على بينة من ان أي امتياز تحصل عليه روسيا في شمال ايران فسوف يمكنها من الحصول على كميات كبيرة من النفط ، ويهيئ لها الظروف الصالحة لصنع ذلك الاقليم بالصيغة الشيوعية . وقد قضت ايران على الاطماع الروسية باصدارها قانون النفط الايراني عام ١٩٤٤ .

ولا غرابة في ان تطمع روسيا السوفياتية بمصادر جديدة للنفط ؛ فقد توسعت صناعاتها ، وتحولت زراعتها الى زراعة آلية ؛ وهرمت أهم حقول النفط فيها - حقول باكو . ولهذا فان وجود سلسلة من حقول النفط تمتد

من الحدود الروسية حتى قطر لما يثير الاغراء في نفسها • فنظرة
السوفيات الى نفط الشرق الاوسط ، واستعداداتهم العسكرية لما تثير
مخاوف الغرب وشكوكه • سيما وان الاقطار التي تتلقى مساعدة مارشال
تستطيع في الظروف الراهنة ، الحصول على نصف ما تحتاجه من النفط من
الولايات المتحدة الاميركية ومن منطقة البحر الكريبي • غير ان عالم الغرب
يسعى للاحتفاظ بما تدره مداخره من نفط أكثر مما كان عليه سابقا ، لان
استهلاكه للنفط أخذ يتزايد تزايدا خلال السنوات الماضية ، ولهذا فان على
بريطانيا ودول مشروع مارشال ان تعتمد على جميع ما تحتاج اليه من نفط على
الشرق الاوسط وحده • ولذا يصح ان يقال ان حدود بريطانيا لا تنته عند
نهر الراين بل عند الشرق الاوسط • ولا يقصد بهذا القول تأمين المصالح
البريطانية وحدها ، فان تحقيق ذلك يتطلب ان يكون الشرق الاوسط قويا
بعيدا عن مؤثرات السوفيات • ومن الواضح ان تلك السياسة تتفق ورغبات
حكومات تلك الاقطار وشعوبها ؛ كما انها تتماشى وأهداف هيئة الامم المتحدة •
واذا ما سلمنا بان بريطانيا لا تهتم الا بصالحها ، فان سياستها كانت توجه
دائما ، في الماضي والحاضر ، نحو المحافظة على استقلال كل من تركيا
وايران • ولم تتوقف عن اتباع هذه السياسة الا خلال الحرب العالمية الاولى ، عندما
انضمت تركيا الى اعداء بريطانيا ، مما اضطرها الى ان تشترك مع فرنسا في
تقديمها الوعود الى روسيا لتسهيل احتلال استنبول واطلاق يدها في شمال
ايران ، بينما يترك القسم الوسطى والجنوبى في ايران منطقة نفوذ بريطاني •
ولو لم يتداع نظام الحكم في روسيا وينته حكم ذلك الاتفاق ، لاضطرت
بريطانيا الى احد امرين : اما ان تسمح لروسيا للنفوذ الى القسم الوسطى
فالجنوبى من ايران ، أو ان تضطر للاذعان الى ما كانت تتحاشاه منذ عشرات

السنين - الاشتراك بحدود متجاورة مع روسيا على ما بينهما من آلاف
الاميال .

ولا تقل سياسة روسيا نحو الشرق الاوسط ثباتا عن سياسة بريطانيا
نحوه . فلولا فتك الاوبئة في جيوش بطرس الكبير لاستطاعت اخضاع
القسم الواقع على بحر قزوين من ايران الى الحكم الروسى مقابل ما أبدته
روسيا من مساعدات لافغانستان . وان الملكة كاترين كانت تحاول طرد الاتراك
من استنبول واحياء الامبراطورية البرنطية تحت التاج الروسى . وفي الحرب
العالمية الثانية عندما كانت المباحثات تجري من أجل عقد حلف ينساوى
بريطانيا ، كانت الحكومة السوفياتية تشدد بطلب ما يأتى : (١) اقامة قاعدة
لقواتها البحرية والبحرية في نقطة تقع بالقرب من البسفور والدردنيل ،
(٢) السماح لها لان تجعل من المنطقة الواقعة جنوب باكو وباطوم ، باتجاه
الخليج الفارسى منطقة نفوذ روسية . ويشبه هذا الطلب ما سبق ان نادى
به الكاتب البولشفيكى ترويانوفسكى عام ١٩١٨ ، « وفارس بمثابة قنصة
السويس بالنسبة الى الثورة ... » ولهذا فان أول الاقطار التى يجب ان نحتلها
من أجل نجاح الثورة الشرقية هي فارس » ، وتكرر طلب روسيا بشأن نفوذها
الى تركيا في مؤتمر بوتسدام ، ولكن بريطانيا والولايات المتحدة ، رفضتا ذلك
الطلب . ومما لا يشك فيه ان الخلاف الروسى الايرانى بشأن النفط ، وبشأن
قضية ازربيجان ، وان ما تنشره من دعايات من دور الاذاعة السوفياتية باللغات
المحلية ، ذو علاقة وثقى بأطماعها لايجاد ممر لها تنفذ منه الى الخليج الفارسى
يشمل أراضي تركية وايرانية وعراقية وكويتية . ومنذ ان كشفت روسيا عن
نواياها بشأن الشرق الاوسط ، لم تبقى بريطانيا المدافع الوحيد عن استقلال
اقطار الشرق الاوسط . فبالاضافة الى الموقف الذى تقفه هيئة الامم بالنسبة

الى تلك الاطماع ، فان المساعدات الكبيرة التى تقدمها الولايات المتحدة الى تركيا وايران وحتى الى اليونان ادخلت الى هذا الاقليم عاملا ثابتا من عوامل القوة كبير الاهمية •

ولا يكفى ان يقتصر على ذكر الاتجاهات السياسية للدول العظمى بالنسبة الى الشرق الاوسط ، فان منظمة الامم المتحدة أخذت تعنى بشؤون هذا الاقليم • واذا ما بلغت الهيئة من القوة والتأثير ما يمكنها من الوقوف بوجه أطماع الطامعين بأقطار هذا الجزء من العالم فسوف تستطيع معالجة مشاكل الشرق الاوسط معالجة ناجحة • وقد يكون من صالح البشرية ان تضع منظمة الامم المتحدة يدها على جميع مصادر الطاقة فى العالم لكى تضع نهاية لتلك الاطماع • ولا ريب ان نفط الشرق الاوسط سيحتل المقام الاول من بين تلك المصادر ، كذلك سيوضع حد لمخاوف تركيا على المضائق اذا ما أوكل الاشراف عليها الى هيئة دولية ، أو اذا ما ترك لتركيا أمر الاشراف عليها بارشاد هيئة دولية • واتخاذ مثل هذا التدبير لقناة السويس من شأنه ان يضمن لمصر وبريطانيا مصالحهما على السواء ويفيد العالم كله •

مراجع الكتاب : - (مرتبة حسب الفصول)

1. Beazley, Sir R. The Dawn of Modern Geography (1897-1906)
2. Cunningham, Wm. The Growth of English Industry and Commerce (1910-38)
3. Hakluyt, Richard. The Principal Navigations, Voyages and Discoveries of English Nation (1589-1600)
4. Hodgkin, R.H. A History of the Anglo-Saxons (1936)
5. Kirk, G.E. A short Sistory of the Middle East (1938)
6. Curson, Lord. Persia and the Eastern Question (1898)
7. Epstein, M. Early History of the Levant Company (1908)
8. Foster, Sir Wm. England's Quest of Eastern Trade (1933)
9. Longrigg, S. Four Centuries of Modern Iraq (1925)
10. Purchas, Samuel. Purchas His Pilgrims (1926)
11. Wilson, Sir Arnold. The Persian Gulf (1928)
12. Sykes, Sir Percy. History of Persia (1930)
13. Wood, A.C. History of the Levant Company (1935)
14. Graves, Philip. The Question of the Straits (1931)
15. Graves, Sir Robert. Storm Centres of the Near East, 1879-1929, (1933)
16. Hoskins, H.L. British Routes to India (1928)
17. Issawi, Charles. Egypt: An Economic and Social Analysis (1947)
18. Miller, Wm. The Ottoman Empire and its Successors, 1801-1927, (1927)
19. Wilson, Sir Arnold. The Suez Canal (1933)
20. Chisol, Sir Valentine. The Middle Eastern Question (1903)
21. Cromer, Lord. Modern Egypt (1908)
22. Graves, Philip. Life of Sir Percy Cox (1941)
23. Hardinge, Lord. The Old Diplomacy (1947)
24. Hubbard, G. E. From the Gulf to Ararat (1916) (Turco-Persian Boundry Commission)
25. Rayan, Sir Andrew. The Last of the Dragomans (1951)
26. Shuster, W. Morgan. The Strangling of Persia 1910-11 (1920)
27. Sousa, Nasim. The Capitulatory Regime of Turkey (1933)
28. Storrs, Sir Ronald. Orientation (1945)
29. Twitchell, K.S. Saudi Arabia (1946)

30. Wislon, Sir Arnold. South-West Persia
31. Cruttwell, C.R.M.P. A History of Great War (1934)
32. Hay, Sir W. Rupert. Two Years in Kurdistan 1918-1920 (1922)
33. Hourani, A.H. Syria and Lebanon (1935)
34. Lawrence, T.E. Seven Pillars of Wisdom (1935)
35. Lenczowski, G. Russia and the West in Iran 1918-1948, (1949)
36. Official History of the War in Mesopotamia (four volumes)
37. Royal Institute of International Affairs. Great Britain and Egypt 1914-36 (1936)
38. Sykes, Christopher. Wassmuss (1936)
39. Wilson, Sir Arnold. Loyalties, 1914-20 (1931)
40. Young, Major Sir H. The Independent Arab (1933)
41. Antonius, G. The Arab Awakening (1938)
42. Barbour, Neville. Nisi Dominus: A Survey of the Palestine Controversy (1946)
43. Beutwich, Norman. Palestine (1946)
44. Jeffries, J.M.N. Palestine. The Reality (1939)
45. Royal Institute of International Affairs — Great Britain and Palestine 1915-1945 (1937)
46. Sidebotham, H. Great Britain and Palestine (1937)
47. Weizmann. Trial and Error (1949)
48. Atiyah, Edward. An Arab tells his Story (1946)
49. Belhaven, The Master of the Kingdom of Melchior (1949)
50. de Goury, G. Arabia Phoenix
51. Elwaell-Sutton, L.P. Modern Iraq (1941)
52. Hyamson, A.M. Palestine under the Mandate 1920-1948, (1950)
53. Ingrams, Hawld. Arabia and the Isles (1942)
54. Ireland, P.W. Iraq: A Study of Political Development (1937)
55. Khadduri, Dr. Majid. Independent Iraq (1951)
56. Lloyd, Lord. Egypt Since Cromer (1933-34)
57. Longrigg, S. Iraq, 1900-1950
58. Macdonald, A.D. Euphrates Exile (1936)
59. Monroe, Elizabeth. The Mediterranean in Politics (1939)
60. Parkes, James. A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times (1949)
61. Philby, H. St. J.B. Arabian Days: An Autobiography (1948)
62. —————. Arabian Jubilee (1952)

63. Roseveilt, Kernit. Arabs, Oil and History (1948)
64. Speiser, E.A. The United States and the Near East (1950)
65. Royal Commission — Report on Palestine (1937)
66. Report of a Committee set up to consider Certain Correspondence between Sir Henry McMahon and Sharif of Mecca 1915 and 1916. Cond. 5974 (1939)
67. Palestine: Statement of Policy-Cmd. 6019 (1939)
68. Groseclose, E. Introduction to Iran (1947)
69. Knatchbull-Hugessen Sir H. Diplomat in Peace and War (1949)
70. Millspaugh, Dr. A.C. Americans in Persia (1946)
71. Palforce: The Official History of the Persia and Iraq Command 1941-46 (1948)
72. Royal Institute of International Affairs — The Middle East: A political and Economic Survey.
73. White Paper on Anglo-Egyptian Conversation on the Defence of Suez Canal and on Palestine (Nov., 29, 1951)
74. Egyptian Green Book.
75. Jewish Agency — The Jewish Case before Anglo-American Committee of Inquiry on Palestine (1947)
76. The Political History of Palestine under the British Administration.
77. Palestine: Termination of the Mandate, 15th. May, 1948.
78. Koesler, Arthur. Promise and fulfilment (1948)
79. Warriner, Doreen. Land and Poverty in the Middle East (1948)